الروض الزاهر من رحيق المنابر

الجـــزء الأول

سلسلة خطب ودروس

فضيلة الشـــيخ الداعيـة

إسماعيل صادق العدوي



الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع ٤٥٧٤ / ٢٠٠

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧



١٠٨ ش جوهر القائد أمام جامعة الأزهر – الحسين
القاهرة ت: ٥٨٨٣٣٣٣ ت.ف: ٥٩١١٩١١

مقدمة الناشــــر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

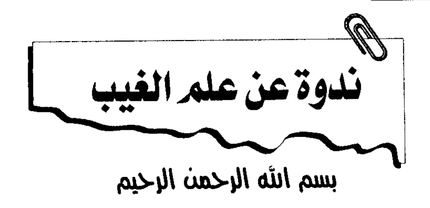
وبعــــــد؛

فيسر الدار العالمية للتراث أن تقدم للقراء الأعزاء الجزء الأول من سلسلة خطب ودروس فضيلة الشيخ الداعية إسماعيل صادق العدوي.. وسيجد القارئ خلالها التفاعل الحي مع نصوص الكتاب والسنة بما يصحح المفاهيم المغلوطة والتي تثار حولها الشبهات، وبما يصحح الوجهة في طريق المسلم إلى الله.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن تكون زادًا للعقل والقلب .. ونعد القراء الأعزاء الاستمرار في إخراج تراث فضيلة الشيخ الداعية إلى النور عبر هذه السلسلة وغيرها من المؤلفات.

سائلين الله الإخلاص والقبول

الناشــــر



ندوة عن علم الغيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(1).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(2).

ويقول جل شأنه: ﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(3).

ومن غيرها على هذا النسق ننطلق إلى حقيقة واحدة وهي أن الله سبحانه وتعالى قد انفرد انفرادًا مطلقًا بعلم الغيب. وهنا وقفة لابد منها.

لفظ الغيب، إنما هو بالنسبة لغير الله، أما هو سبحانه وتعالى فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وبهذا ليس بالنسبة له أي شيء يعتبر غيبًا، وإنما الغيب بالنسبة لغيره. والغيب إما زماني وإما مكاني:

فالغيب الزماني: هو أي زمن بعد الآن الذي أنت فيه، وبعد لحظة من الآن، أو بعد دقيقة، أو بعد ساعة أو بعد يوم أو بعد جمعة. أو بعد شهر أو سنة

---

(1) الأنعام:59.
(2) الحجرات:18.
(3) هود:123.

أو قرن، فهذا يعتبر بالنسبة لك، غيبًا.

والغيب المكاني: هو أي مكان غير الذي أنت فيه، يعتبر هذا غيبًا مكانيًّا، لا يمكن أن ترى مثلاً ما وراء الحائط أو تعلم به.

إلا إذا كنت قد اطلعت عليه وعلمت تفاصيله، لكن لا تستطيع أن تراه بعينك المجردة، أما إذا لم تعرف ولم تر فهذا يعتبر غيبًا مكانيًّا. فأي مكان لست أنت فيه، فهذا غيب مكاني.

بل هناك ما هو أدق من ذلك، ما في جيب صاحبك الذي أنت لصيق به، لا تدري ما فيه! وما كان تحت حصيرة أو بساط، لا تدري ما تحته، فهذا يعتبر غيبًا مكانيًّا.

فالغيب المكاني ما لا يستيطع النظر أن يراه، وما لا يستطيع السمع أن يصل إليه. وما لا يستطيع الشم أن يدركه، ولا الذوق أن يحققه، ولا اليد أن تلمسه. فكل شيء غاب عن هذه الحواس، فهذا غيبٌ بالنسبة لغير الله تعالى. إذن الإنسان (وهو المراد من الحديث) مقيد بشيئين:

- مقيد بزمان لا يستطيع أن يكون في غيره.
- ومقيد بمكان لا يستطيع أن يكشف غيره، إلا بوسائل خاصة.

أما ذاته فلا يستطيع فقد يسأل سائل، قد يكشف بالتلفزيون حفلاً معينًا فقد كُشِف بواسطة آلة، لا بذاته، أو قد يشكف بواسطة الراديو (السماع) فبواسطة، التليفون، بواسطة اللاسلكي، بأجهزة إرسال واستقبال، أما بذاته فلا يستطيع أن يرى ويحقق ما خفي عنه.

فهو مقيد بزمان، وهو مقيد بمكان.

إذن، المقيد هو الإنسان، مثلاً، أنت الآن الساعة الحادية عشرة هل تستطيع أن تكون في هذا الزمان أنت وأن تكون في الساعة الواحدة بالأمس.

أو في الحادية عشرة بالأمس، أو في الحادية عشرة غدًا، ولا يمكن أن تكون

في الساعة العاشرة وخمس دقائق اليوم، وإنما أنت مقيد بزمان ومقيد بمكان. لا يمكن أن تكون هنا وفي الإسكندرية وفي أمريكا. أو لا يمكن أن تكون جالسًا على هذا الكرسي وعلى هذا الكرسي. عجز مطلق، فالإنسان مقيد بزمان ومقيد بمكان.

فغير زمانه الذي هو فيه، غيب. وغير مكانه الذي هو في، غيب.

أما الله تعالى فليس مقيدًا بزمان لأنه كان ولا زمان، إذ هو الذي خلق الزمان.

فإذا كان مقيدًا بعد خلق الزمان، فكيف كان قبله، إذن لا تقييد، ليس مقيدًا بزمان لأنه هو الذي أوجد الزمان ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[2].

فليس الله مقيدًا.

أما المكان فلن يعدو أن يكون من أعلى العرش إلى باطن الأرض، فكان الله تعالى ولا شيء معه.

إذن هذه الأمكنة وهذه الأجرام، هو الذي أوجدها، وهو الذي خلق السموات والأرض. السموات المراد بها الأجرام العلوية كلها. والأرض هي الأجرام السفلية كلها. إذن ما علا، وما سفل وما بينهما هو مخلوق وحادث، فكان الله تعالى غير هذه الأشياء. فأي زمان يقيده، وهو الذي خلق الزمان؟ وأي مكان يقيده وهو الذي خلق المكان؟

فالله سبحانه وتعالى مُنَزَّه تمامًا من أن يكون هناك غيب بالنسبة له، لأنه مُنَزَّه عن الزمان والمكان، أما الزمان والمكان فيحصران المخلوقات لا الخالق.

---

(١) الأنبياء:٣٣.

(٢) الإسراء:١٢.

وعندما نعيد قراءة الآيـة: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَـيْءٌ فِـي الأَرْضِ وَلاَ فِـي السَّمَاءِ﴾[1].

وبعد، فالله تعالى عندما يقـول: ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2]. أي أن الله يعلم ما غاب عنا، لا ما غاب عنه، لأننا أدركنا يقينًا أنه لا قيد بزمان حتى يغيب عنه شيء. ﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3].

أي هو الغيـب الـذي يحـيط بمـا وراء زمـان الإنسـان وبمـا وراء مكانـه، لا بالنسبة لله. وندرك حقيقة أخرى في هذا المعنى وهي:

أن الإنسان هو المحجوب، كسائر الخلق، أما ربنا سبحانه جلَّ شأنه فيستحيل أن يحجب، أي شيء يحجبـه؟! هـل يحجـب بعـرش؟ ومـا يكـون هـذا العـرش بجواره؟! إذا كان العرش الذي يحيط بالدنيا والذي يحيط بالكرسـي، والكرسـي الذي يحيط بالسموات والأرض وما بينهما، بالنسبة لخلـق الله، هـو كمـا يضـع أحدنا المخيط في المحيط. فهل يحجب بريح؟ أو بماء؟! أو بشجر؟! أو بسماء؟!

الذي يحجب الشيء إنما يكون أوسع منـه. وهـل الله محـدود حتـى يحجـب بشيء معين؟!

وإنما الشيء المحدود هو الذي يحجب ويُلَف. إنما الشيء اللامحدود فلا شيء يحجبه، فهو يَحْجُبُ ولا يُحْجَبُ.

سبحانه، إن الله تعالى يعلم حقيقة العلـم، مـا كـان ومـا يكـون، وكيـف لا يكون ذلك وهو خلق ما كان؟ وخلق ما يكون؟ فكل شيء خلقه لا يكون خفاء فيه، وإنما يكون بالنسبة لك أنت أيها المخلوق لا بالنسبة له هـو؛ لأنـه لا آن لـه حتى يكون له مستقبل. وبهذا المدخل نعلم علم اليقين أن الذي يعلم كل شـيء

(١) آل عمران:٥.
(٢) الحجرات:١٨.
(٣) هود: ١٢٣.

هو الله سبحانه وتعالى يقينًا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[1]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[2].

نأتي إلى أعمال الملائكة وأن الله تعالى يبرز لها وظائفها المحدودة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[3].

وليلة القدر سميت بذلك كما قال علماؤنا، بأن الله يقدر فيها أعمال الخلائق أي يحدد وظائفها لملائكته. وهو لا يبدأ يُقَدِّر، فقد قدّر وانتهى، أي يُنَزِّل بِقَدر.

ليلة القدر، والقَدْر هو الشيء من الكل. مثلاً قدر من العلم أي شيء منه، قدر من الليل أي جزء منه، وهكذا. فيبرز الله تعالى على اللوح المحفوظ شيئًا مما خَفِيَ عن غيره. يبرز شيئًا منه، مع أن كل شيء ظاهر له، ولكن حُجِبَ الخلق عنه وأَبْرَزَ لخواصه جزءًا في حدود سنة. ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[4].

أي يفصل هذا الجزء فيظهر فيكون على اللوح المحفوظ اختصاصات الملائكة الكبار. اختصاص جبريل، اختصاص ميكائيل، اختصاص إسرافيل، اختصاص عزرائيل. فمثلاً تكتب آجال الخلق الذين سيقبضهم عزرائيل في هذا العام. إذن الأمر نسبي.

قبل نزول هذه الصحيفة في ليلة السابع والعشرين ما كان عزرائيل يعلم شيئًا عن العام المقبل، وبنزولها علم بإعلام الله له، لا بذاته، لأنه مع كونه ملكًا فهو محجوب، وأراد الله أن يظهر له شيئًا على قدر وظيفته فقط فأبرز الله هذا الجزء فقط حتى يؤديه ولا يشغل بغيره، لأنه مخلوق محدود الوظيفة، فلا يتحمل أكثر من هذا، فعزرائيل علم بآجال هؤلاء ولكن إسرافيل لا يعلم، ميكائيل لا

(١) النساء:١٢٢.
(٢) النساء:٨٧.
(٣) القدر:١.
(٤) الدخان:٤.

يعلم، سائر الخلق لا يعلمون، إذن وأنا جالس، عزرائيل يعلم أجلي متى، إذا كنت سأموت هذا العام، وقد علم لأن الله أعلمه، أما أنا فمحجوب، فما حجب عني الآن لم يحجب عن عزرائيل، ولو أراد الله أن يكشف لي لكشف، ولكنه لم يكشف، فكشف الله لواحد ولم يكشف لآخر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

إذن بهذه المعلومية اللطيفة.. عالم الغيب، مَنْ؟ الله.

إذا أراد الله أن يظهر لغيره من الخلق شيئًا من هذا العلم، كان.

وإلا ما زالوا محجوبين وليس الأمر لكل من هبّ ودبّ، ولكن الأمر بقدر لمن ارتضى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[2].

بهذا الوضوح نختار شيئًا آخر. بالنسبة لعزرائيل، رأى بعينه، وبالنسبة لغيره وهو المراد من البشر وأعلى البشر، هم الرسل والأنبياء.

يكشف الله تعالى فيلهمهم بما كان غيبًا لغيرهم، ولولا أن الله كشف لهم، ما رأوا، وما نطقوا، وما سمعوا، وما شموا، وما ذاقوا، وما لمسوا. **فمثلا**: سيدنا سليمان عليه السلام بالنسبة لغيره في زمنه.

كُشف له، فسمع، سمع النملة وسمع الهدهد، وسمع سائر الحيوان ومَنْ بجواره محجوبون، فهذا عبدٌ كشف له، وأظهر الله غيبًا مكانيًّا بواسطة السمع. فقد تكون نملة وراء حجر، هل تراها؟ وإنما علم بها من صوتها، فالباقي لم يعلم أين النملة، مع أنه غيب مكاني حاضر، أما هو، عَلِمَ.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ

(١) القمر:٤٩.
(٢) الجن:٢٦-٢٧.

أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَو لأَذْبَحَنَّهُ أَو لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1].

فكلمه الهدهد، وهنا عجب، الكل جالس وهو يخاطب هدهدًا حيث الحجاب قد كُشِف، وهنا إعجازية أن الهدهد قد أخبرك وكشفت لك عن هذه اللهجة وهذه اللغة وهذا المنطق، وقد حجبت عنك شيئًا آخر في اليمن فأنت عبد. بي تتكشف لك الأشياء، لا بك أنت، وإن كان الهدهد قد كلمك فكشفت منطقه، ولكني حجبتك عما يحدث في اليمن، والذي جاء لك به هو الهدهد، ولولا أنه جاء بذلك ما علمت شيئًا يا سليمان، فأكشف لك وقتما أريد، وأحجب عنك ما أريد، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

وهكذا، نرى كشفًا آخر بإلهام آخر، الحقيقة واحدة، وهي أن الذي يعلم هو الله، غيره لا يعلم، ولا يعلم غيره إلا بإعلام الله له، كان المثل السابق هو غيب المكان. **أما غيب الزمان**، فيقول الله في هذا الشأن، في نبي يعلم الآن وما وراء ذلك ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

يعني الآن وما تدخرون بعد ذلك، يعني غدًا سيُدّخر كذا، وبعد جمعة كذا، ولم يقل وما ادخرتم بل قال وما تدخرون في بيوتكم. ويوالينا القرآن الكريم حتى نتحسس هذا المعنى وحتى يرسخ الإيمان الحق الذي لا زيغ فيه في صدورنا.

يلهم الله ويكشف لمن أراد من رسله ملكًا أو بشرًا عن غيب مكاني الآن،

---

(١) النمل:١٨-٢٢.

(٢) النمل:٢٢-٢٣.

(٣) آل عمران: ٤٩.

وعن غيب مكاني بعد ذلك، وفيه غيب زماني. هل هناك حدود لإطلاع الله للعبد؟ لا حدود.

فأنطق الله سيدنا يوسف عليه السلام بما يحدث في خمسة عشر عامًا. ففسر الرؤيا تفسيرًا غيبيًّا زمنيًّا، عندما رأي الملك ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾[1].

ففسر سيدنا يوسف عليه السلام ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾[2].

وهنا أربعة عشر عامًا. ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[3].

وهذا عام آخر. تحديد عجيب، ولا يمكن لذاته وبذاته أن يتكشف إلا أن يكشف الله له، فقال في ختام الرسالة وفي طلب الأمان: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[4].

فلم ينسب العلم لذاته. فأين ذاته؟! وأين وجودها إلا بوجوده! وأين حياتها إلا بحياته! وأين رزقها إلا به! وأين علمها إلا به! وفاقد الشيء لا يعطيه، إنما هو جهاز استقبال، والذي يرسل هو الله والذي يكشف هو الله. خمسة عشرة عامًا!! أكثر. سيدنا يعقوب عليه السلام رتب حياة ولده في كلمات. رتب الحياة كلها في آية واحدة على المدى الطويل أربعين، خمسين أكثر، في خلال ذلك سيحصل كذا وكذا.

(١) يوسف:٤٦.
(٢) يوسف:٤٨.
(٣) يوسف:٤٩.
(٤) يوسف: ١٠١.

لما رأى سيدنا يوسف الرؤيا: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

والمراد هنا في الآية التالية: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

فالترتيب هكذا: يجتبيك ربك: أي يراعيك ويحتضنك ويأويك إليه فينوب عن الحنان كله بحنانه الأعظم، ويختارك ويربيك. ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب: أي سيتم نعمته عليك بالنبوة والرسالة.

وعلى آل يعقوب: هم أولادي الآخرون وإن عصوني وعصوا الله، ولكن سيتوب الله عليهم، هؤلاء الأسباط ويجعلهم الله أنبياء.

ترجمة غريبة

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾.

نذكر ونجدد قراءة الآية: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[3].

فنبينا ﷺ نطق ما يفيد الغيب المكاني والغيب الزماني، ففي الغيب الزماني يقول القرآن الكريم: ﴿الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[4].

---

(١) يوسف: ٤-٥.
(٢) يوسف:٦.
(٣) الجن:٢٦-٢٧.
(٤) الروم:١-٥.

هذا شيء، شيء آخر في العلم: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

آيات الآفاق وما تكون من صناعات علمية (سنريهم. السين للاستقبال) سنريهم آياتنا: أي سيأتي زمن سيرون هذه الآيات ويتكشّفونها تمامًا.

ثم نطق بالمعارج (المصاعد الكهربائية) وكل ما يعرج إلى السماء (أي يصعد) من طائرة من صاروخ أو من قمر صناعي أو من سفينة فضاء، ﴿.. وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۞ وَزُخْرُفًا﴾[2].

زمان عجيب على الأبعاد البعيدة وعلى المئات والآلاف ولم يحددها، ثم ذكر قمة من قمم العصر وتحقيق ما يحدث بعد هذه العلوم الواسطة المتضافرة حتى تؤدي هذا المعنى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أو نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وهكذا..

وينطق الرسول ﷺ بما ألهمه الله به فيقول: «لتركبن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه» عن ابن عباس رضي الله عنه.

اتباع وتقليد أعمى ما يظهر منه في الشعر والملبس والفساد كل ذلك نتبعه، ولا ندرك أن هذا من صنع اليهود، في نظام الربا نتبع، في نظام الملاهي نتبع ونقتدي، في كل شيء، في الأظافر، في الرموش في الحواجب. ﴿وَلأُمُرَنَّهُمْ

(١) فصلت:٥٣.
(٢) الزخرف:٣٣-٣٥.
(٣) يونس:٢٤.

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾[1].

فتُحْلق الحواجب تمامًا ثم يوضع خط مكان الحواجب، وهذا ابتداع اليهود، فمسح النساء ذلك ثم وضعن خطًا، وهكذا، أما يحدث هذا؟!

ثم قال ﷺ ما معناه: «سيأتي زمان على أمتي تتداعى عليها الأمم، كما يتداعى الأكلة على القَصْعة». فقالوا: أمِن قِلة نحن يا رسول الله؟ قال: لا بل أنت كثيرون، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.

وهذا وقتنا والأمم تتداعى على المسلمين من النصارى على اختلاف مذاهبهم وأمكنتهم في بقاع الأرض جميعًا، ويتداعى اليهود علينا ويتداعى أهل الإلحاد.

جميع الأمم تتداعى على هذه الأمة وكل ينهش فيها ويأخذ منها حتى تضيع. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[2].

ثم أخبرنا ﷺ قال: (معنى الحديث).

«سيأتي زمان على أمتي تخرج نساؤه كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنام البُخْت» (البخت أي عالي كسنام الجمل). هذا حدث!

ثم قال ﷺ: «إذا رأيتم الأمر يوكل إلى غير أهله، فانتظروا الساعة». ثم بيَّن من علامات الساعة:

أن يتطاول الحفاة الرعاة في البنيان، وأن تلد الأَمَةُ رَبَّتها، وغير ذلك كثير. ثم قال في حديثه الصحيح. (معنى الحديث).

إذا ظهر الخمر (أما ظهر بعد ذلك)؟ وظهر الزنا، وكثر النساء حتى يكون على خمسين امرأة قَيِّمٌ واحد (وهذا زماننا). هذا هو الغيب الزماني على المدى البعيد. وهناك غيب زماني على المدى البسيط.

---

(١) النساء:١١٩.

(٢) التوبة:٣٢.

فقال ﷺ في حق سيدنا أبي ذر ﷺ: «يرحمك الله يا أبا ذر، تمشي وحدك وتموت وحدك وتُبْعث يوم القيامة وحدك» (وقد كان ذلك). وعندما صعد ﷺ على جبل أُحُد وارتجف الجبل فقال: «**اسكن أُحُد فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**» [رواه البخاري] فأشار إلى شهادة سيدنا عمر وإلى شهادة سيدنا عثمان بن عفان. ثم قال لسيدنا عمار بن ياسر بعد أن أشيع أنه مات. وقال لأصحابه: «**لم يمت بعد ولم يُقْتل وإنما تقتله الفئة الباغية**». وقد قتل في موقعة الجمل وقتلته الفئة الباغية، ومثل ذلك كثير لا يُعَدّ.

الغيب المكاني:

التقى واحد من كفار مكة بصفوان بن أمية فقال يا صفوان لعن الله الحرب لقد قتلت أولادنا وأهلنا، (وكان ذلك عقب غزوة بدر الكبرى) فقال: يا أخي وماذا تريد؟

قال: لولا ما أنا فيه من دين وما أخاف على عيالي لذهبت لأقتل محمدًا.

قال: لا عليك أنا أَسُدُّ دينك وأرعى أولادك، واذهب لتقتله.

فأحضر نفسه وسيفه، وكان له ولد أسير عند النبي ﷺ فذهب إلى المدينة، فأراد سيدنا عمر بن الخطاب أن يقتله. فقال له ﷺ: «دعه يا عمر»، فدخل الرجل. وقال ﷺ: «ماذا تريد؟» فَمَوَّه على الرسول ﷺ فقال: لا شيء قاتل الله الحرب يا محمد لقد ضيعت الكثير منا وشتتت أفكارنا وشملنا. فقال ﷺ: «ماذا جاء بك؟» فسكت الرجل. فبدأ ﷺ يتكلم وقال: «أما كنت في وقت كذا في مكان كذا في مكة. وكان معك صفوان بن أمية فقال كذا، فقلت كذا، فها أنا ذا، افعل ما تريد»، فقال: عجبًا لك لقد كنا في خلاء وما كان أحد يسمعنا، فمن أعلمك؟ قال ﷺ: «الذي رآكما هو الذي أعلمني بذلك».

هذا غيب مكاني، فكُشِف له فنطق به.

وفي خاتمة هذه العبارات، خرج النبي ﷺ إلى البقيع ليلاً، فتبعته السيدة عائشة رضي الله عنها، خشية أن يذهب إلى واحدة أخرى من نسائه (إنها الغَيْرة) فلما علمت أنه ذهب إلى البقيع رجعت إلى حجرتها. فلما رجع خاطبها بالكشف وقال: «ما الذي أخرجك يا عائشة؟ ما أخرجك إلا شيطانك».

وهنا انتقالية عجيبة في العبارة، إنه علم خروجها وعلم وسوسة صدرها وهنا الكلام فعلم ذلك وذلك.

فقالت: أو ليَّ شيطان؟ قال ﷺ: «ولكل إنسان شيطان». قالت: حتى أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: «حتى أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير». وهكذا.

صلوات الله وسلامه عليه يُظهر ما أظهره الله له فكان بعلم الله له يحقق أبعاد الزمان ويحقق ما خفي في المكان. إذن أدركنا أن مطلق علم الغيب له سبحانه، وإذا أراد جل شأنه أن يكشف لعبد من عباده من رسله، كشف له، ملكًا أو رسولاً من رسله. هل يكشف غير ذلك؟ من صلحاء المؤمنين ومن أوليائهم؟ نعم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾[1].

ولم يحدد هنا نبيًّا ولا رسولاً ولا ملكًا، وإنما عمم اللفظ وعندما أراد أن يثبت هذا المعنى الجليل أثبته بالقرآن. ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2].

نذكر ونجدد قراءة الآية: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[3].

فنبينا ﷺ نطق ما يفيد الغيب المكاني والغيب الزماني.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الكهف:٦٥.

(٣) الجن:٢٦-٢٧.

ففي الغيب الزماني يقول القرآن الكريم: ﴿الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

فكانت مسألة السفينة (وكلنا يعلمها) ومسألة الغلام ومسألة الجدار: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2]. ثم قال في عقب التأويل: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[3].

وأريد أن أقول جزءًا في هذه القصة: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[4]، فكشف الله للخضر عن حقيقة السائل.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[5]. فأكد أنه لا يستطيع الصبر وقد كان ذلك كلما رأى شيئًا كلما تعجب ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[6].

أي كشفتك من أول الأمر. ثم قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[7]، ثم قال في الخاتمة: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[8]. وقال في الرابعة: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[9]. فأكد حقيقة الكشف الأولي عن ذاتيته إنك في هذا الأمر لن تصبر معي طويلاً. ولذلك قال ﷺ: «لو صبر موسى لتعلمنا الكثير».

بالقرآن كشف الله لعبد من عبيده ليس نبيًّا ولا رسولاً ولا ملكًا شيئًا من علمه فنطق به.

---

(١) الروم:١-٥.
(٢) الكهف:٧٨.
(٣) الكهف:٨٢.
(٤) الكهف:٦٦.
(٥) الكهف:٦٧.
(٦) الكهف:٧٢.
(٧) الكهف:٧٥.
(٨) الكهف:٧٨.
(٩) الكهف:٨٢.

في هذه الأمة، سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ عندما رجع النبي ﷺ من الإسراء والمعراج وكلم الناس في مسألة الإسراء فكذبوا ولم يتكلم بعد عن المعراج، كان قد تكلم عن الإسراء فقط، فظهرت كرامة لسيدنا أبي بكر بإلهام الله له فقال: أتكذبونه في خبر الإسراء؟ والله إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك إني لأصدقه بخبر السماء (وهو لم يتكلم بعد ﷺ). فهذه كشفية ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾[1]. وسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كشف بإلهام الله له عما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وفي غير ذلك.

ويقول ﷺ: «في كل أمة محدثون (مُلْهَمُون) وإن يكن في أمتي فعمر بن الخطاب». فنطق بآيات القرآن فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فنزل القرآن بهذه العبارة بالضبط وسجلت في القرآن، هي لم تسجل لأنه قالها بل هي مدونة محققة، ولكن أراد الله أن يثبت أن من عباده من ألهمه بما هو في مكنون الغيب وما لا يعلمه أحد وهكذا.

ومسألة سارية الجبل. إن الله كشف له عما يدور في قرب الشام وهو يخطب الجمعة في المدينة: يا سارية الجبل، فقالوا: يا أمير المؤمنين أتقطع الخطبة وتقول يا سارية الجبل.

فلما رجع سارية سئل في ذلك قال: كنت في لقاء مع العدو فخشيت واضطربت فسمعت صوت أمير المؤمنين في أذني يقول يا سارية الجبل، أي تحصن بالجبل، فتحصنت فنصرني الله تعالى، وكان ذلك يوم الجمعة في وقت الصلاة وشيء آخر يُلْهَم الإنسان بإكرام خاص.

فسيدنا سعد بن أبي وقاص ﷺ رأى في رؤياه كأن قمرًا يسير وراءه اثنان. ولم يعلم بشيء فذهب إلى سيدنا أبي بكر ﷺ فقال: إني رأيت قمرًا يسير وراءه

(١) آية الكرسي- البقرة: ٢٥٥.

اثنان، أنت ولا أدري من معك، قال أبو بكر رضي الله عنه: لقد ظهر الإسلام. أما القمر فهو المصطفى ﷺ وأما الاثنان فأنا وزيد بن حارثة.

فذهب سيدنا سعد إلى النبي ﷺ وأسلم. وقال: فكنت يومئذ ثلث الإسلام. وبهذا يحقق العلم لنا من القرآن ألا ننسب كلمة (عالم الغيب) لغير الله. إنما نقول فلان أُلْهم أو فلان نطق.

أما أن نقول: فلان يعلم الغيب فهي كلمة كبيرة تجرح حقيقة التوحيد الصرف في عقلية المؤمن وفي قوة إيمانه. فأولياء الله تعالى، يظهر الله على أيديهم من الكشف ولولا أن الله أظهر ذلك ويظهر ذلك، ما كان هناك شيء.

فما يذكر في هذا الشأن. أن سيدنا أحمد الرفاعي ﷺ ولد وكان يتيمًا فرباه خاله سيدي علي الواسطي، وكان له ولد اسمه أحمد، وقبل مجيء سيدنا أحمد الرفاعي قال: (رأى النبي ﷺ يقول له) ستلد أختك بعد أربعين ليلة (قال له النبي ﷺ ذلك) ولدًا اسمه أحمد وهو وريثك يا علي.

وكان يرجو أن يكون ولدًا. وبعد أربعين ليلة ولدت أخته سيدي أحمد الرفاعي ثم كان هو الوارث لما أظهر الله على يد أستاذنا ﷺ المدد الواسع والخير الرفيع.

فليس الأمر باختيار العبد ولا باختيار الأم. ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾[1]، فكما يصطفي ذواتهم يصطفي أرواحهم، ويصطفي عقولهم، ويصطفي العطاء لهم.

وفي خاتمة الأمر. عن الولي أو النبي أو الرسول أو الملك كجهاز أو كأي جهاز استقبال كما إذا فتحت جهاز التلفزيون في غير ما أوان لا ترى شيئًا، فإذا جاء وقت الإرسال فما يرسلونه هم هو الذي تراه وقد ترى مباراة من المباريات وأنت منسجم على هواك، وأنت بإدراكك البسيط تتماشى وتنتظر عواقب

(١) الحج:٧٥.

النتيجة ثم يقطع الإرسال فجأة فيظهر شيء آخر، فأنت بإعجازك ومع ملكيتك للجهاز لا تستطيع أن تُرِيَ نفسك ما تريد وإنما ما يرسل إليك هو الذي يُرَى فقط في أجهزة الصور وفي أجهزة السماع، فكل عبد كهذا، جهاز استقبال ليس على هواه مع أن الجسم جسمه هو وروحه فيه وعقله فيه، ولكنه يمد بإرسال خاص وبإرسالية خاصة فيُظْهرها للناس فيرى الناس هذا الجهاز أثرًا من آثار علم الله تعالى. ولكن حقيقة العقيدة، عندما يتكشف لك شيء من عبد، فلا تركز عقيدتك في هذه الذات حتى لا تحجبك عن الحق.

بل اذكر أن هذا العبد هو محط أثر من آثار الله فيه، ولولا أن الله أمده بهذا المدد ما رأى الناس منه شيئًا. فتذكر الله أولاً. عندما ترى آية من الآيات على يد عبد من العبيد في هذا الشأن وفي هذا الصدد فاذكر الله صاحب المنة الذي حقق ذلك على هذا العبد.

هذا هو وضوح الغيب لا غيب بالنسبة لله. وإنما الغيب بالنسبة للإنسان ولغيره لأنه مقيد بزمان ومكان. والله تعالى يكشف لرسله الخواص.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[1].

ويظهر ذلك لسائر المؤمنين ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾[2].

ثم يذكر الله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4].

والله تعالى ورسوله ﷺ أعلم.

۞۞۞

(١) الجن:٢٦-٢٧.
(٢) آية الكرسي- البقرة:٢٥٥.
(٣) النساء:٥٤.
(٤) الجمعة:٤.

الخطبة الأولى

القضاء والقدر[1]

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد..

ففي الأمة الإسلامية كثير من الأوهام، وكثير من الخلط الذي يضيع فيه الناس حياتهم، فصارت حياتهم هباء وأصبحت عقولهم مشغولة بأشياء لم ينزل الله منها شيئًا، ولم تكن إلا في عقولهم الضعيفة الواهمة، وهذا ما أضر المسلمين. فكل شيء لم يكن في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله ﷺ فهو رد على الناس، وهو بدعة من البدع التي يكرهها الله تعالى ويكرهها رسوله ﷺ.

والبدع، إما أن تكون بدعًا عقيدية، وإما أن تكون بدعة أعمال، ونتناول في حديثنا بدع العقيدة، وهذه البدع التي استقرت في نفوس الناس، وثبتت في عقولهم وأصبحت قاعدة من القواعد التي لا خلاف فيها، فالخطأ إذا استمر خطأ أصبح قانونًا للناس لا يستطيعون البعد عنه، والقضية التي نتناولها معًا في هذا اليوم، هي قضية القضاء والقدر، وإن الذي يظهر لكم من هذه البداية ومن هذا العنوان هو خطورة الكلام، وتشابك القضية، ولكنها بسيطة لا عُقَد فيها، وإنما

(١) خطبة الجمعة ٥ شعبان١٤٠٢-٢٨ مايو ١٩٨٢ مسجد سيدي أحمد الدردير.

أنتم الذين فعلتم ذلك، ولا شبهة وإنما الناس هم الذين أدخلوا هذه الشبهات. فالدين جليّ، والشريعة بينة، والحق أَبْلَج، ولا خلاف.

ونبدأ بما يدور على ألسنة القوم وفي مجالسهم العامة والخاصة! إذا سألت إنسانًا من الناس من المسلمين، لم لا يصلي؟! يرد ردًّا عجيبًا:

كله مكتوب، ربنا يهديني! لما يهديني أصلي!..

هذا رد فيه فساد، ووراء هذا الرد خطر في العقل ومصيبة في التفكير، وإذا سألت من يشرب الخمر، هو نفس الرد: كله بقضاء الله، والمكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.

ردود متوافقة في كل من يعصي الله.

وإذا سألته: هل تركت الطعام يومًا؟ يقول لك: لا. هل تركت الشراب يومًا؟ يقول لك: لا.

لماذا هذا بقضاء الله.. وهذا ليس بقضاء الله؟! لماذا يكتب عليك عدم الصلاة ولا يكتب عليك عدم الطعام؟!

إنه فِعْل من الأفعال لك مطلق الاختيار فيه. كما تأكل.. كما تصلي كما لا تأكل، كما لا تصلي. كما تشرب، كما تصوم، كما لا تشرب، كما تفطر. كل هذه الأشياء اختلطت على الناس، يفعل الناس أمور دنياهم، ويتبارون فيها ويسعون إليها سعيًا وراء سعي.

أما الشريعة الإسلامية، فيدور فيها الجدل ويدور فيها الخلاف. كتب الله عليَّ، قضى الله عليّ لم يكتب الله عليّ، وكأن الإنسان قد اطلع على اللوح المحفوظ وعلى علم الله المكنون وعلم ما كتب عليه وما لم يكتب عليه.

إن الذي لا يصلي قد ارتكب معصية كبرى وإثمًا كبيرًا. والذي لا يزكي

كذلك، والذي يكذب يقول قولاً إدًّا ويغضب الله تعالى.

أيها المسلمون.. إن الله كرم الإنسان بالعقل، ووضع في هذا العقل نور الشريعة حتى يميز الإنسان بين الخبيث والطيب، وحتى يزن حياته ميزانًا سليمًا.

فالعاقل لا يرمي نفسه في البحر ولا من فوق جبل، والعاقل لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، فإذا كان هناك حريق هرب منه ولا يلقى نفسه فيه، والعاقل إذا قطع شيئًا بسكين لا يترك هذا الشيء ثم يقطع يده. هذا هو ميزان الإنسان في حياته، وهذا الميزان الذي وهبه الله للإنسان هو الذي يحاسبه به ما دام العقل موجودًا.

إن الله كلف الإنسان عند البلوغ عندما يستدير العقل ويتكون في الإنسان **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**(١).

فالطفل الرضيع لا يُسأل، والمجنون لا يسأل؛ لأنه إذا سئل بين يدي الله، قال الطفل: أنا لا أعقل، ولا أعرف الحلال من الحرام، فكيف أُحاسب وأنا طفل رضيع، أو أنا غلام دون البلوغ؟! إنك عادل! وعدلك يقتضي ألا تحاسبني بين يديك اليوم. هذا هو رد الطفل الرضيع أو دون البلوغ.

وكذلك المجنون إذا كُلف بالشريعة، يأتي يوم القيامة ويقول: يا رب أنا لا عقل لي ولا ميزان لي فكيف تحاسبني اليوم؟ فالمجنون لا يُحاسب لأنه قد سُلِبَ عقله، واقتضت حكمة الله تعالى أن يحاسِبُ العقل ما دام موجودًا في الإنسان.

رُفِعَ القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الطفل حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق. فلا تكليف لهؤلاء **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**(٢).

(١) الإسراء:٣٦.
(٢) البقرة: ٢٨٦.

هذا هو ميزان الحساب، لا قول لك ما دام فيك عقل، ولا حجة لك ولا سلطان لك ما دمت عاقلاً فأنت مكلف، وسوف تحاسب على التكليف بين يدي الله يوم القيامة. ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1].

*** أيها المسلمون ***

يقول الحق تبارك وتعالى في هذا الأمر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ونفس: أقسم الله بالنفس البشرية التي خلقها فعدلها، فسواها، فأنشأها كائنًا مكرمًا في هذه الحياة. ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها: فعلمها، وألهمها حتى تميز بين الكفر والإيمان، وبين الحلال والحرام. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2].

قد أفلح من زكاها: من زكى نفسه وطهرها وكرمها وشرّفها بالشريعة. وقد خاب من دسّاها: **وهنا أقف معكم على الكلمة ومع الكلمة.**

قد أفلح: الإنسان هو المقصود. من زكاها: فالذي يزكي نفسه هو الإنسان يفعل الحلال وبما يرضي الله تبارك وتعالى. وقد خاب من دَسَّاها: فالذي يخيب نفسه ويجعلها في الحضيض هو الإنسان. هو الذي يفعل ذلك لأن الله بين له شريعته كاملة فالإنسان من قدر الله، والشريعة من قدر الله فالبصر جهاز، خلقه الله لا يرى إلا في الضوء فالبصر من قدر الله والضوء من قدر الله ولا يمكن للبصر أن يرى في الظلام.

فالإنسان من خلق الله والشريعة من خلق الله، ولا يَصْلحُ الإنسان إلا بالشريعة كما لا يصلح البصر برؤيته إلا في الضوء ولا يصلح السمع إلا بالهواء.

(١) البقرة:٢٨٦.
(٢) الشمس:٧-١٠.

فالإنسان من قدر الله، والشريعة من قدر الله. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

فافهموا قدر الله على حقيقته ولا تخلطوا عقولكم بالأوهام ولا تفتروا على الله كذبًا. يقول بعض الناس: كتب الله علينا عدم الصلاة!!

كيف يكتب الله الصلاة على المؤمنين ثم يمحوها عن البشر ويسلبها من البشر؟! ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[2]. أي فريضة في وقتها.

ولو كان الإنسان مجبورًا على الصلاة، ولو كان مسيرًا في الصلاة لنسب الله الفعل إلى نفسه وقال: (إن الصلاة كانت على الله كتابًا موقوتًا)!! هل الذي يفعل الصلاة أنت أم الله؟! أنت. فأنت مكلفٌ بها. ومأمور بها، يجب أن تقوم بها. إن الله يأمر نبيه ﷺ بالصلاة. ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4]

* **أيها المسلمون** * إن الأوامر الإلهية للإنسان فإن كان مكتوبًا عليك ألا تصلي. ما قال الله لك وللمسلمين قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

* **أيها المسلمون** * يجب أن نعلم أمر الإسلام كما أنزله الله تعالى.. إن ما

---

(١) القمر:٤٩.
(٢) النساء:١٠٣.
(٣) هود:١١٤-١١٥.
(٤) الإسراء:٧٨-٧٩.
(٥) المزمل:٢٠.

يفعله المسلمون ما أنزل الله به من سلطان، وما هي إلا خرافات في نفوس الناس يجب أن تزول من عقولهم حتى يصححوا عقيدتهم تمامًا. هناك سورة من السور تسمى سورة «الإنسان». والإنسان هو المراد من الشريعة. ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا ۞ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[1].

إنا هديناه السبيل: إنا هديناه إلى الإسلام، إنا هديناه إلى الدين إنا هديناه إلى الشريعة، إنا هديناه إلى الصلاح، أنا هديناه إلى الحق، إنا هديناه إلى العدل، إنا هديناه إلى النور. فربط الله الإنسان بدينه الذي يصلحه. إنا هديناه السبيل: أي إنا بينا له الصراط المستقيم وبينا له الحق من الباطل، والشر من الخير. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا ۞ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ فبين الله جزاء أهل الإيمان وبين جزاء أهل الكفر وهناك سورة تسمى بسورة «الكافرون».

يقول الله فيها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هناك إرادة، وهناك قوة والإرادة تقتضي ألا أعبد ما تعبدون فأنا قوي بديني ثابت على شريعتي فلو كان الإنسان مجبورًا مسلوبًا ما قال (لا)، وإنما يقول (لا) حيث له إرادة وحيث له قوة، يجاهد أهل الكفر، ويجاهد أهل الضلال.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2].

هناك إرادتان مختلفتان متناقضتان بين أهل الكفر وبين أهل الإيمان فالمؤمن

(١) الإنسان:١-٥.

(٢) سورة الكافرون.

قال: لا للكفر والضلال والفساد. وقال: لا للأصنام، وقال: لا لعبادة الشمس، وقل: لا لعبادة الأحجار والأشجار والبحار.

لا.. كلمة فيها إرادة. كما يقول الله في الإرادتين معًا: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾[١].

فهناك إرادتان: إرادة في الإنسان يؤمن بها ويتيقن بها ويسلم بها ويطيع بها، ويعبد بها ويحل بها الحلال ويحرم بها الحرام.

وهناك إرادة يكفر بها، ويضل بها، ويفسق بها، ويظلم بها ويؤدي بنفسه إلى النار. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٢].

فمشيئتك بين يديك بعقلك الذي خاطبك الله به، فلا هيمنة عليك ولا سيطرة ولا جَبْر. ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

فمن يكفر: أي بنفسه وعقله وإرادته، ولم يقل فمن كفره الله. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

وجاء الحق بعد هذه الآيات بإرادتين خطيرتين عظيمتين كبيرتين. بإرادة عبد من عباده، خليل الله نبي من أولي العزم، رسول أمام أحد طواغيت الأرض. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي

(١) النساء: ٢٦-٢٧.
(٢) الكهف:٢٩.
(٣) البقرة: ٢٥٦-٢٥٧.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[1].

قولان خطيران في جلسة واحدة يظهر فيها الحق من الباطل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]

أيها المسلمون

لا يقل أحدكم إذا عصى الله تعالى. هذا مكتوب عليّ وهذا قضاء الله. إنه قول الشيطان وإنه ترديد بين ألسنة أُناسٍ، قد أفسد عليهم عقولهم وحياتهم، إن الله تبارك وتعالى سيحاسبك يوم القيامة، حتى تكون الحجة لله، فالله تبارك وتعالى أرسل إليك رسلاً (رسلاً مبشرين ومنذرين) هذه الرسل قد هدتك بالشريعة إلى الله. فمن خرج عنها فهو كافر، وإذا وقف الكافر بين يدي الله لا حُجة له لأن الله قد أرسل إليه رسلاً.

أما الذي لم يُرسَل إليه رسولٌ فهو ناجٍ يوم القيامة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[3] لكي لا يكون للناس على الله حُجة بعد الرسل، فلا تقل يوم القيامة هذا مكتوب عليّ، هذا قضاء الله. هذه خرافات عقلك أيها الأَبْله أيها المخبول، أيها المجنون. فلا تتبع خطوات الشيطان.. بل افعل ما أمرك الله به في وقته كما تفعل أي شيء من أمور الدنيا. هذا هو القضاء والقدر الذي أمرك الله أن تفهمه حق الفهم، فالشريعة يجب أن تعلمها، وأن تطيع الله كما أراد الله لك. هناك شيء آخر لا تُسأل عنه، هذا هو القضاء والقدر.

أنت محمد ولست فاطمة لا تُسأل يوم القيامة عن ذكورتك أو عن

---

(١) البقرة:٢٥٨.
(٢) البقرة: ٢٥٨.
(٣) الإسراء:١٥.

أنوثة المرأة، لا يقول الله لك: لم أنت ذكر؟! أو لم أنت محمد؟ أو لم أنتِ فاطمة؟! هذا قضاء الله وهذا قدره. وهذه إرادته التي لا تُسْأَل فيها ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1].

ولا تُسأَلُ عن ولادتك وأجلك. لا يقول الله لك. لم ولدت يوم كذا في ساعة كذا؟ إن هذا السؤال مثلاً في هذا اليوم لا يكون من أحكم الحاكمين.

لأن الله يعلم أنه لا قدرة لك في ذلك. ولا استطاعة لك في الأجل. فالأجل محدد والذكورة والأنوثة محددة. وكذلك الرزق. لا تسأل عن رزقك. يوم القيامة. وإنما تُسأل عن الإنفاق، هل أنفقت رزقك في الحلال أم في الحرام؟؟ هذا ما تُسْأل فيه. هل غششت الناس في مالك أم لم تغش؟ هل ارتشيت أم لم ترتش؟ هل ارتكبت حرامًا أم لم ترتكب؟ أما كَمُّ المال وقدر المال. فلا تُسأل عنه يوم القيامة؛ لأن الله قد كتبه عليك وأنت مقهور به. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2]. فافرقوا بين أمرين. وهذا هو خلاصة الأمر.

بين القضاء والقدر الذي لا حول لك فيه ولا قوة. وهو ما قهرك الله به من الذكورة، والأجل، والرزق، وما وراء ذلك، لا تُسأَل عن معيشتك في الأرض، ولا يقول الله لِمَ لا تعيش في السماء؟ ولا تُسْأل لِمَ تتنفس الهواء؟ ولِمَ تعيش بالماء؟ ولِمَ تأكل الطعام؟

هذه أمور قهرية لا يُسأل فيها العبد ولا سؤال ولا حساب فيها يوم القيامة لأنك لا قدرة لك في هذه الأشياء وهي فوق استطاعتك. أما ما كلفك الله به من ركعات أو صوم، أو زكاة أو حج.. ونهاك عن السرقة، والزنا والحرام، والخمر والزور وما وراء ذلك، فأحل لك حلالاً وحرّم عليك حرامًا، فيجب أن

(١) الأنبياء:٢٣.
(٢) الأنعام:١٨.

تفعل ما أمرك الله به وأن تجتنب ما نهى الله عنه. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١).

أمران بسيطان لا خلاف فيهما. لا تُسألُ عن شيء لا قدرة لك فيه ولا حول ولا قوة لك فيه، وإنما تُسأل عن الشريعة: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾(٢) ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(٣).

*** أيها المسلمون ***

هذا هو القضاء والقدر. وهذا ما كتب علينا من الشريعة، وما كتب علينا من القضاء المحتوم، لا نسأل عن شيء لا حول لنا ولا قوة فيه.. وإنما نسأل عن الشرع. ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٤).

والنبي ﷺ كان يدعو الله في سجوده دائمًا وكان يدعو الله كثيرًا «**اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك**» فهذا شيء آخر أن تطيع الله وأن تطلب العون منه على طاعته.

كما يقول ﷺ: «**اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**». هذا ما يجب أن نفهمه، وأن نُفهمه للناس، وأن نكون على الحق دائمًا. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعًا. أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

✿✿✿

---

(١) الحشر:٧.

(٢) الطلاق:٧.

(٣) البقرة:٢٨٦.

(٤) الإسراء:١٣،١٤.

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد..

فلا خلاف بعد ولا وهم ولا شتات، بقيت كلمة وهي التي يجب أن تُسَلِّم فيها لله تعالى، أن ترضى بما قَدَّره الله وبما قضاه، وهذا في اختيار الله لك، وفي الابتلاء الذي كتبه عليك. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

هذه هي القضية التي يجب أن ترضى فيها بقضاء الله ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[2].

الرضا بالقضاء والقدر هو جزء عظيم من الإيمان، الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره. فإذا كتب عليك شيئًا وكرهته فربما في ذلك خير، فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

الرضا بالقضاء غير الرضا بعدم الصلاة شتان بين الأمرين. الذي لا يصلي هل يرضى بقضاء الله؟! وهل هذا قضاء الله؟! افرقوا بين الأمرين وافصلوا بين الوهم والحقيقة. الذي يشرب الخمر ويصر على الشرب يضر نفسه هل هذا من قضاء الله؟! لقد هداك الله ومنعه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٢) البينة:٨.

(٣) المائدة:٩٠.

أمرك أن تجتنبه فَرِّقْ بين الأمرين. أما إذا أخذ مالك قضاء وقدرًا، أخذ ولدك عند أجله، ماتت لك زوجة، احترق بيتك ضاع مَالُك، كَسَدتْ تجارتك، أُصِبْتَ في صحتك فهذا كله من قضاء الله، وعليك أن تتخذ الأسباب للعلاج للأمور وأن ترضى بقضاء الله سبحانه وتعالى، وأن تؤمن بقوله جل شأنه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

بعد القضاء فليتوكل المؤمنون في كل حياتهم، فإذا أُصِبْتَ في صحتي فأتخذ العلاج وأتوكل على الله، وإذا أُصبت في مالي فأرضى بالقضاء وأتوكل على الله فيما هو جديد فلعل الله يرزقني صحة أعظم ومالاً أكثر، فهذا كله بأمر الله وإرادته، هذا ما يجب أن تفصل بينه وبين الوهم الذي يعيش فيه الناس، فالقضاء والقدر فيما قدره الله عليك وأصابك به من البلاء يجب أن ترضى به وأن تتخذ السبيل إلى الله تعالى حتى يعينك على ما أنت فيه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

*** أيها المسلمون ***

عندما انتصر المسلمون في غزوة بدر أعدوا العدة، وكان هناك وعد من الله لهم بالنصر، فلم يقعدوا في بيوتهم حتى يُنصروا.. وإنما خرجوا وجاهدوا فانتصروا، فالإعداد بقضاء الله.. لأن الله علمهم كيف يستعدوا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3].

تُرهبون أنتم، فالإنسان هو الذي يفعل ويتخذ أسباب النصر، فانتصروا ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

---

(١) التوبة:٥١.
(٢) التوبة:٥١.
(٣) الأنفال:٦٠.
(٤) آل عمران:١٢٣.

في غزوة حنين أصابهم الغرور فاهتزوا في أول الأمر:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1].

هناك فرق بين الغزوتين

وفي غزوة أحد هزم المسلمون بعد أن ترك الرماة ظهر المسلمين وقال لهم رسول الله ﷺ «**لا تتركوا أماكنكم مهما وجدتم**» فتركوا أماكنهم فهُزموا، فقال الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾[2].

إذن الحياة مجاهدة، وخلق الله الإنسان للعمل وللمثابرة. ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[3].

فَفَرقٌ بين الأمرين: بين سعيك للشيء وبين قضائه وقدره في الرزق وهما في آية واحدة.. فامشوا في مناكبها.. وهو السعي، وكلوا من رزقه (وليس من رزقها). فالرزق قضاء حتمي وقدر جبري عليك، أما السعي فهو أمر الله لك وهو أسباب الحياة.

فلا تقعدوا عن السعي كما لا تقعدوا عن صلاتكم وعن صيامكم وعن خيراتكم فإن الله سيحاسبكم على كل هذا ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾.

النداء مرة أخرى ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ

(١) التوبة:٢٥.
(٢) آل عمران:٤٠.
(٣) الملك:١٥.

مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾[1].

هذه عظة الله فيكم وهذا بيان الله إليكم ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

اللهم اغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. اللهم أرنا الحق حقًّا فنتبعه وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا وقلبًا خاشعًا ونورًا ساطعًا ورزقًا واسعًا وشفاء من كل داء ونسألك الغنى عن الناس. اللهم إنا لا نسألك رد القضاء بل نسألك اللطف فيه. اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا. اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. ورضي الله تبارك وتعالى عن سيدي صاحب هذا المقام.

۞۞۞

(١) الانشقاق:٦- ١٥.

(٢) آل عمران:١٣٨.

الخطبة الثانية

المؤمن عند الشدائد[1]

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد..

فسبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسْألون. سبحانه كل يوم هو في شأن، كما جاء في هذه الآية، أمور يبديها ولا يبتديها يرفع أقوامًا ويخفض آخرين سبحانه فعال لما يريد: **﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[2].

من حقائق الإيمان ومن أصوله، أن نؤمن بالقدر خيره وشره وذلك في جواب رسول الله ﷺ عندما سُئل عن الإيمان فقال: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشرِّه»**.

فهو خير بالنظر إلى وجهة نظرك، وإن كان شرًا من وجهتك فهو خير لا تعلمه ولا تدريه: **﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[3].

(١) خطبة الجمعة: ٢٨/ جمادى الآخرة/ ١٤١٢- ٣/ ١/ ١٩٩٢ المسجد الجامع الأزهر الشريف.
(٢) آل عمران:٢٦،٢٧.
(٣) التوبة:٥١.

لقد صدق المؤمنون بذلك ودرسوا كتابهم وتدبروه وعلموا سنن السابقين، فاهتدوا بها وثبتوا عليها. وعندما نذكر القرآن الكريم وما حدثنا الله فيه، نرى أن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل من الأولياء والصالحين، وإذا أحب الله عبدًا ابتلاه، فالحب يقتضي ذلك، هل يثبت على محبته لربه؟ أم يتغير ويتبدل؟ **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾**[1].

ومن الأمثلة العظيمة الجليلة في القرآن نرى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو أمة جمع الله فيه الخصال الكريمة ومن حقائق الإيمان ما لم يكن في كثير من خلقه. اشتد الابتلاء عليه، فهو المجاهد الذي واجه عبدة البشر.. وعبدة الأصنام وواجه كل هذا الباطل من عبدة النجوم. وفي وسط ذلك كله يبتلى، فيبقى زمنًا لا ينجب وهو راض لم يتغير ويستمر في جهاده ونضاله. أما حكمة الله فيه فلا يُسأل الله فيها: **﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾**[2]. وكان يدعو الله تبارك وتعالى: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[الصافات:١٠٠].

ويقف عند الدعاء، إن شاء الله استجاب وإن شاء ترك. ورُزِقَ بالولد، بسيدنا إسماعيل عليه السلام، ثم أمره الله أن يذهب به إلى مكة وكانت وقتذاك لا زرع فيها ولا ضرع ولا ماء، وترك السيدة هاجر ومعها ولدها. فقالت: يا نبي الله! أتتركنا ولا زاد ولا ماء؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هكذا أمرني ربي، قالت: يا نبي الله، اذهب، فلن يضيعنا الله أبدًا.

ابتلاء محكم وراءه حكمة، ابتلاء شديد وراءه فرج عظيم، ابتلاء قوي للأقوياء، عظيم للعظماء لأنهم الأمثل لا يضجرون ولا يُهْرعون عن ربهم بل يُهْرعون إليه، ولا يفرون منه بل يفرون إليه، كلما ازدادوا ابتلاء ازدادوا

(١) الحج:١١.

(٢) الأنبياء:٢٣.

قربًا وكلما ازدادوا قربًا ازدادوا حبًا ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(١) ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾(٢).

فانصرف إلى ربه وهذا يشغله لا تشغله الدنيا ولا الولد، وإنما ذهب إلى مكان يعلم أن الحرم فيه، وقد بُني من قديم، فرفع يديه إلى السماء ولجأ إلى أحكم الحاكمين الذي حكم بالابتلاء هو الذي يرعى ولده ويرعى زوجته هي ثقة وإيمان ويقين كان ينمو في جسمه ويتصاعد كما يتصاعد السحاب فوق العنان. ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٣).

ونذهب إلى السيدة هاجر في نفس الوقت ولدها يزداد عطشًا، فتذهب إلى الصفا علّها ترى بعض أُناس أو ترى من يأتي بماء، ثم تذهب إلى المروة، وبين الصفا والمروة، تتعجب الملائكة وينظر الملأ الأعلى إلى أَمَةِ الله في أرضه، يتلوى ولدها عطشًا ولكنها لم تنصرف عن ربها أملاً فيه، فهو القريب المجيب سبحانه وتعالى، ثم نزل سيدنا جبريل عليه السلام عند حركة الطفل قرب الهلاك فضرب برجليه الأرض في الوقت الذي ضرب فيه جبريل الأرض بجناحه، فالتقت الضربتان: ضربة الضيق، وضربة الفرج. وهنا نبع الماء نبع ماء زمزم، فظل الماء يسعى إلى الناس وظلت الناس تسعى إلى هذا الماء أمر عجيب! فقالت السيدة هاجر: زُمِّي.. زُمِّي.

وقال ﷺ: **«لولا أن أمنا هاجر قالت: زمي زمي، لصارت ماء معينًا»** فأصبحت الصفا والمروة بهذا الابتلاء شعيرة يسجلها الله للعالمين لكل المؤمنين الذين

(١) المائدة:٥٤.
(٢) المدثر:٣١.
(٣) إبراهيم:٣٧.

ينصرفون عن ربهم في شدائدهم وفيما يبتليهم فيه. فهذا مثل أعلى.

فأصبحت شعيرة من الشعائر إذا حججت أو اعتمرت ابتدأت من الصفا ساعيًا إلى المروة إلى سبعة أشواط، وهنا تتذكر كيف يكون الابتلاء وكيف يُعلي الله قدر من ابتلاهم قدرًا رفيعًا عظيمًا، شعيرة لا تنقطع إلى يوم الدين. ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أو اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(1).

إن الابتلاء لم يقف عند هذا الحد، وإنما ازداد، ويزداد الإيمان يزيد، ويزدادان قوة وثباتًا وصلة بالله. يكبر سيدنا إسماعيل عليه السلام وفي سن بداية الشباب في سن السعي، يأتي ابتلاء آخر، فيرى سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه يذبحه. لم يَشِبُّ بعد حتى يفرح به كأب يفرح بأبنائه، وكان عديم الولد، وجاء الولد والابتلاء مستمر فيه، وعندئذ يبدأ في التنفيذ، لا مفر فرؤيا الأنبياء حق سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(2).

نّجاه من هلاك العطش، أمر بذبحه، بذبح هذه الذات التي ابتلي فيها من قبل وابتليت الأم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(3)

فتأتي الآية الجامعة التي جمعت بين أب مُبْتَلى وقد أسلم وجهه لربه وبين ابن مطيع مبتلى فأسلم وجهه لربه، فلما أسلما، أي أسلما أمرهما لربهما في هذا الابتلاء الخطير. ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞

(1) البقرة:158.
(2) الرحمن:29.
(3) الصافات:100-102.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

أصبحت شعيرة الأضحية امتدادًا لهذا الابتلاء وتذكرًا لما صنع الله في عبده وفي عباده المؤمنين.

فعندما نذبح أضحيتنا في يوم العيد الأكبر بعد الصلاة نذكر هذا الحدث وكيف يربط الله الابتلاء بالخلود، يخلد الذكرى لعظم الابتلاء، أراد الله بعد ذلك أن يجعلهما سببًا في بناء الكعبة، وهذا شرف ما بعده شرف، ويقرب الاثنان الأب والابن والأم تنظر إلى ابنها الذي نجح وإلى ذاتها التي فاقت الحواجز، ونظرت بعين الرضا إلى كل صنع الله من ابتلاء وفي نفس الوقت إلى كل ما صنع الله من خير ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وبعد: هكذا نتشبع بأنوار القرآن وبعظاته وبما يمليه على الأمة حينًا بعد حين حتى نثبت عند الشدائد. إن الإنسان في الشدة يزداد ذكرًا وتسبيحًا وعبادة، لا ينصرف عن ربه الله يختبره، وليُبْلي المؤمنين منه بلاء حسنًا، فلا يكون حسنًا إلى إذا كان الصبر والاحتمال. سيدنا يونس عليه السلام عندما التقمه الحوت وهو في أعماق البحر، ذكر ربه، ابتلاء صعب، ظلمات، ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الحوت، وأين الحوت؟! من أراد أن يأتي به، لا يأتي به إلا الله، ولا يفرج عنه إلا الله، ولا ينجيه إلا الله، في وسط هذه الظلمات، يُسَبِّح ويَذكُر ذنبه، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، لأنه تعجَّل في الدعوة، وهذا ابتلاء، ثم ذكر ربه حتى ينجيه، عند الشدة، اذكر الله، في الرخاء، اذكر الله. فأنت بين أمرين بين شدة ورخاء ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ

(١) الصافات: ١٠٣-١١١.

(٢) البقرة:١٢٧-١٢٨.

مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

كثير من الناس يبتلى بالمرض، والمريض يرجو الشفاء، فليس هناك مرض يستمر ولا عافية تبقى مدى الحياة، هو يُغَيِّر ولا يَتَغَيَّر، فإن ابتليت بالصحة فاجعلها في طاعة الله وإن ابتليت بالمرض فاذكر الله حتى يشفيك ويرفع عنك مما ابتلاك به.

سيدنا أيوب عليه السلام يَذكر الله إنه مثل من أمثلة العابدين الذاكرين المحتسبين الثابتين على اليقين ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[2]. الأمهات يذكرن السيدة أم سيدنا موسى والدماء تسيل من حول ابنها عليه السلام ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[3].

دماء غزيرة، البلاء شديد، والأم تحتضن ولدها، كيف المخرج؟! الله.

هو الذي يخرجها من أزمتها، وشدتها وبلائها، وكربها، هو الذي ابتلى، وهو الذي يرفع، هو الخافض وهو الرافع، هو المعطي وهو المانع.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4].

كيف نجا؟ أمر الله هذه السيدة العظيمة أن ترضع ولدها وأمر الله الرضيع يا موسى هذا اللبن حلال لك غيره حرام عليك. ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن

---

(١) الأنبياء:٨٧-٨٨.
(٢) الأنبياء:٨٣-٨٤.
(٣) البقرة: ٤٩.
(٤) القصص:٧.

قَبْلُ﴾[1]. فذاق لبن أمه، فإذا ذاق غيره لا يستسيغه ويأبى ذلك. ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

* **أيها المسلمون** * في القرآن خير كثير فلا تضيقوا على أنفسكم وبينكم أرحم الراحمين. في أي لحظة من اللحظات بالليل والنهار لا يغفل ولا ينام:﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾.

* **أيها المسلمون** * نحن بين حين وآخر في شدائد متتالية فلنصبر عليها،ولنحتسب عند الله أمرنا حتى يكرمنا بالعفو والنجاة والفرج، ويقول ﷺ في ذلك: «**سلوا الله من فضله،..... وأفضل العبادة انتظار الفرج**»[الترمذي].

عباد الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعًا. أو كما قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

۞۞۞

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد..

يقول أسعد الخلق ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» [رواه مسلم].

والمؤمن بين زيادتين، بين زيادة فضل الله إن كان شاكرًا، في قول الله تعالى يظهر ذلك: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3].

(١) القصص:١٢.
(٢) القصص:١٣.
(٣) إبراهيم:٦.

وفي صبره على البلاء فيه زيادة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

ويقول أسعد الخلق ﷺ: «**ما زال المؤمن والمؤمنة في بلاء** (إذن هناك بلاء مستمر لا ينقطع) **وإن المؤمنة والمؤمن يحتسبان ذلك عند الله**».

فقد أخبر النبي ﷺ بموت ابن ابنته فأرسلت إليه بذلك فأرسل من يقرئها السلام ويقول لها: «**اصبري واحتسبي ذلك عند الله**»، إذن البلاء لا يزيد المؤمنين إلا إيمانًا، وهنا يتذكرون ويستعرضون، أما الذي ينصرف بعد البلاء أو حين البلاء إلى اللهو والمعصية فهو إنسان متبلد، وعندما ابتلينا بأكثر من حادث في بلادنا، كنا نتصور أن الناس يرجعون إلى الله..! ولكن لم نر إلا الإصرار على المعصية، وما زال الأمر شديدًا على الأمة في فَقْد أبنائها وفي فَقْد أموالها ومقدراتها، وهناك عَلانية بما يغضب الله.

ويسعى الناس إلى اللهو في ليالٍ هي غريبة عنا وهي بعيدة عن إسلامنا، وفي نفس الوقت الذي افتقدت هذه الأموال أنفقت أضعافها على الخمور علانية في أرجاء مصر المسلمة.

كل ذلك حرام على الديانات جميعًا على المسلمين وغيرهم، ولكنها شدة لم تزد الناس إلا تبلدًا وانصرافًا عن ربهم. فهناك فرق بين أن يزداد المؤمن إيمانًا بالابتلاء وأن ينصرف المسلمون عن ربهم عاصين وذلك في جَهْر وجرأة عجيبة، كأن البلاء في غير بلادنا! وكأن الذين افتقدوا في البحر في أعماقه من جنس غير جنسنا! إن العالم يهتم بالحيوانات بالقطط والكلاب، ونحن لا نهتم ببعضنا كبشر! إنه العجب! العجب الذي يعلن ويجب أن يعرفه الجميع.

نحتاج أن نحس ببعضنا وأن نكون على جادة في المصائب حتى نكون على

---

(١) الزمر: ١٠.

قلب رجل واحد في خيرنا وشرنا في كل ما نبتلى بـه مـن حـزن ومـن مصـائب هكذا تكون الأمم في العالم ولكنا في زمن يضحك علينا الناس، يقولون: هـؤلاء على عقل أم جنون؟! يبتلـون بكـل هـذا الابـتلاء ويضـحكون وتَشـتَدُ علـيهم الشدائد. وهناك انصراف وهناك من هو في واد والمصابون في واد آخر.

يقول أسعد الخلـق ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**» [رواه مسلم] شـغلاً بالسـهر في الفنادق والكباريهات وأماكن اللهو، اختلفت كلمـة السـهر بـدلاً مـن أن تكـون همًّا وغمًّا على بعضنا، أصبحت سهرًا فسقًا وفجورًا وبُعْدًا عن ربنا.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصـرنا علـى القـوم الكافرين، اللهم أرنا الحق حقًّا فنتبعه، وأرنا الباطل بـاطلاً فنجتنبـه برحمتـك يـا أرحم الراحمين.

اللهم متعنا بأبصارنا وأسماعنا وقوانا أبدًا ما أبقيتنـا واجعلـه الـوارث منـا، واجعل ثأرنـا علـى مـن ظلمنـا وانصـرنا علـى أعـدائنا. اللـهم انصـر إخواننـا المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها يـا رب العـالمين. اللـهم ثبـت أقـدامهم، اللهم: حرر أرض فلسطين، اللهم حرر لنا بيت المقدس يا رب العـالمين. اللـهم ارزق الأمة الإحساس والشعور يا رب العالمين.

كما نسألك يا الله أن توفق ولاة أمورنا لما تحبه وترضاه يا رب العالمين، عباد الله، إن الله يأمر بالعـدل والإحسـان وإيتـاء ذي القربـى وينهـى عـن الفحشـاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

أقم الصلاة[1].

۞۞۞

(١) ملحوظة: هذه الخطبة كانت مذاعة في الإذاعة.

الخطبة الثالثة

السحر والشعوذة والجن[1]

الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد..

فما زال في الأمة أثر من آثار الجاهلية الأولى جاء الإسلام واستمر إلى اليوم ويمضي إلى يوم القيامة دينًا قيمًا لا عوج فيه.

وما زال المسلمون أو ما زال كثير من المسلمين ينتمون إلى عصر الجاهلية في أمر أو آخر.

ومثلهم كمثل رجل في النهار يتصور أن الليل ما زال موجودًا، ويكلمه الناس أن الوقت ضحى وقد ذهب الليل فلا أثر له، وهو يصر أن الليل قد اختلط بالنهار، فهذا إنسان سفيه قد اختل تفكيره واضطرب عقله **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾**[2].

فالإنسان السفيه الذي اختلط عليه الأمر فلا يحسن أن يضع الأمور في نصابها، والسفاهة الموجودة هي التأثر بالكُهَّان، الكهَّان الذين يُذْهَب إليهم، ونجد عندهم الكثير من مسلمون، وبعض الكبراء لا يذهبون إلى الكُهَّان في منازلهم أو في أماكنهم وإنما يؤتى بالكُهَّان إليهم، حتى يترجموا ما في هواهم من

(١) خطبة الجمعة ١٤شوال ١٤٠٦- ٢٠يونيو ١٩٨٦ من المسجد الجامع الأزهر الشريف.
(٢) البقرة:١٣٠.

غرض وما في قلوبهم من مرض، فاختلط الأمر عند الجميع، وبَعُدَ الناس شيئًا فشيئًا عن حقيقة الإسلام وعن وضوحه وبيانه وفصله في القضايا، فَلُوِّثت العقيدة، وأصبح المسلم في حيرة من أمره، إذا ضاق به أمر ذهب إلى العَرَّافين والكهان، في المسائل البسيطة وفي المسائل الكبيرة.

فإذا كان ينام كثيرًا يذهب إلى الكاهن، لا يتصور أنه كسول ويحتاج على هِمة ونشاط، ويطرد الوهم من نفسه ومرض القعود، فيذهب إلى الكاهن فيقول له، معمول لك عمل، والعمل الذي ينام به المسلم هو عمل عُقِد بالسرير؛ لأن السرير هو الذي ينام عليه.

وإذا تأخر زواج ابنتك ذهبت إلى العرَّاف أو ذهبت الأم، فقال لها العراف الكاهن: إن قرينها يغار عليها، (من الجن) فلا تتزوج ولابد من مرضاة الجن من ذبح ماعز على ثلاثة ألوان، أو تيس على لونين، فيبحث عن التيس حتى يرضى القرين ويرضى الجن.

وإذا خسر في تجارة تصور أنه قد عُمِل له عمل، فيذهب إلى هؤلاء الدجالين فيقول له العرَّاف، إن جارك الحاج فلان قد عمل لك عملاً ودفن تحت الماكينة، ويبحث المسكين ويحفر تحت الآلات فلا يجد شيئًا، فقد انتقل تفكيره من التفكير السويّ المستقيم إلى التعلق بأسباب واهية خاسرة لا أصل لها ولا وجود.

وإذا رسب الطالب في الثانوية أو الإعدادية أو البكالوريوس، سقط عدة مرات لحماقته وفشله وسوء تدبيره في حياته وعدم تحمل المسئولية الملقاة عليه، ذهبت به أمه وذهب أبوه إلى العرَّاف حتى يعلم سبب الرسوب، وسبب الرسوب أنه لا يذاكر أو يذاكر ولا يجيد الإجابة، فهي أسباب أدت إلى الخسارة وأدت إلى الرسوب.

هناك أسباب طبيعية للتوصل إلى نتائج سليمة، فإذا لم تتحقق هذه النتائج ذهب الناس كل مذهب، وتحيروا في أمرهم وتركوا أصل عقيدتهم وارتباطهم

بربهم وحسن اتصالهم بالله وعلمهم بما جاء به الإسلام، وما فصل به بين الحق والباطل.

فالإسلام أمر المسلمين أن يتخذوا الأسباب الحلال الطيبة لكل أمر يريدونه من خير الدنيا والآخرة.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾[1].

التوكل على الله بعد اتخاذ الأسباب، ولم أجد آية في كتاب الله، ومن يتوكل على الكاهن فهو حسبه أو ومن يتوكل على العراف فهو حسبه، أو من يتوكل على الجن فهو حسبه أو من يتوكل على الساحر فهو حسبه، لم أجد هذا الأسلوب؛ لأنه ليس من الإسلام في شيء.

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2].

فإذا ترك المسلم التوكل على الله بعد اتخاذ الأسباب فقد ساءت عقيدته وأصبح فاشلاً في أمره.

إن الأمور لا تقاس بالسحرة وبالكهنة، ومن هنا تأخر المسلمون، تأخر المسلمون في حسن صلتهم بالله فقعدوا عن الأسباب، فثبطت الهِمَمُ وضعفت العزائم، وأصبح الناس بين شؤم وسحر وكهانة، يذهب البشر إلى البشر ووَجَدَ من يُذْهَبَ إليهم من الكهان والعرافين، وجدوا سبيلاً سهلاً يكتسبون منه على حساب المغفلين، وعلى سوء عقيدة الجهَّال وعلى قوم لم يعرفوا حقيقة دينهم، فضحكوا عليهم وابتزوا أموالهم واستمروا في ذلك إلى يومنا هذا، فما زال أثر من آثار الجاهلية موجودًا، والناس ما زالوا يذهبون إلى العرافين والكهان، وإنه

(١) إبراهيم:١٢.
(٢) الطلاق: ٣.

لأمر خطير، وقد يصلي من يذهب إلى الكاهن وقد يصوم، وقد يذهب بعد الصلاة على موعد إلى كَفْرِ كذا أو إلى نَجْعِ كذا، وقد ينتقل المسلم من مكان إلى مكان حتى يقعد إلى هؤلاء الذين يحكمون على الأمور ويهيمنون على العقول ويسيطرون على الأفهام ويخربون العقائد إنها مصيبة كبرى لا يُسْكَت عليها.

إن الحشيش يجب أن يُقْضى عليه فَيَسْلَم الناس.

إن الخمر يجب أن تراق وتمنع حتى لا يكون لها تأثير، ولكنها عقيدة دخلت في ثنايا العقل والفكر فاستقرت واستمرت، وأصبح الناس على أمر لا يترك؛ فهو سوء عقيدة.

إلى من تذهب؟ ومن يملك الأمر إلا الله؟ ومن يُفَرِّج الكرب إلا الله؟ ومن يُذْهِب العسر إلا الله؟ الله هو الذي يُلجَأ إليه في السراء والضراء، فبالله عليكم هذه الخطوات التي يسعى بها المسلمون إلى الكهان والعرافين وإلى أصحاب الجن الفاسقين، هي خطوات نسجها الشيطان في عقول الناس فتقدمت أقدامهم إلى ما يضرهم في دينهم ودنياهم وسوء عاقبتهم وسوء المصير يوم القيامة، يقول أسعد الخلق ﷺ: «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ**» [سنن أبي داود] والسحر قد حرمه الإسلام.

والنجوم هي النجوم التي يختلقها أهل الباطل، أما النجوم لمعرفة علوم نافعة: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾. فهذا أمر علمي في معرفة مسارات النجوم وإلى ما يحدث من الرياح والأمطار وما شابه ذلك.

أما النجوم التي يلجأ إليها هؤلاء فقد صنعوا لكل إنسان بُرْجًا من الأبراج، برج الثور وبرج الحَمَل وهكذا، وبرج الجدي.

ويحسب المنجمون ويظهر ذلك في دولة الإسلام، في صحفهم وفي مجلاتهم فيقرأ صاحب برج الثور، ستحدث مصيبة لك اليوم، وفعلاً حدثت المصيبة

لصاحب برج الثور فاضطربت أعصابه فقراً في اليوم التالي، سوف يأتيك خطاب هام، وجاء الخطاب، فارتبط الناس بالأوراق، وما كتب في الصحف ما هو إلا من تأليف هوى قومٍ يُرَوِّجون صحفهم، وهذا من الباطل الذي يُقَر ولا يحارب من العلماء وأهل الفكر الصحيح، والمصلحين!! إنها طامة على الأفكار.

ويقول القائلون الذين يعذرون هؤلاء، هذا على سبيل التسلية، والتسلية لا تكون على حساب العقيدة فترك الله وترك التوكل عليه، وتوكل الناس على قطع من الأوراق أو على سطر من السطور ارتبط بها فكرهم، واستقر عقلهم بالثور (البرج) كل هذا يصنع حيوانية هائجة هيجت الناس، ومن هنا يضيع التوكل على الله ويستقر الفساد في قلوب البشر.

*** أيها المسلمون ***

الكوتشينة والفنجان، في بيوتكم كثير من هذا الوهم، وفي بيوت كثير من المسلمين. ويذهب بعض القادرين وهم كثير إلى بعض بلاد أوروبا وغيرها حتى يأتى العرافين في هذه البلاد وكل هذا إما أن يكون باطلاً من ادعاء هؤلاء، وإما أن يكون عن طريق الجن، فالجن له قرين عندك يكلمه فيقول لهذا: لقد صدمتك سيارة من خمس سنوات، يا سلام، وهنا يعجب العَجَبَ كله، في أمر علمه جني. من جني وهو أمر بسيط لا خطورة فيه.

وفي مصر قال لي أحد الصادقين.. كنت أقف بالسيارة في إشارة مرور فجاء رجل يلبس عمامة وعباءة وبيده سبحة، فقال: أعطني الخمس جنيهات التي في جيبك اليسار، فتعجب الرجل، إنه جني يلقف في أذن وليه كذبة، فيخرج هذا ويتعجب، ثم يأتي له بالمنديل فيعصره فينزل الماء، إنه صُنع الجن وأسلوب الجن وفساد الجن الذي انتشر بين الناس، وإذا ذهب بعضكم إلى إخراج عمل، فالجني يأتي بهذا، ويكتب اسمك واسم أبيك واسم أمك في الحال، وبعض الناس يطوي ورقة بيضاء ثم يسأل الزبون ادعُ في سرك، فيسأل، أو اسأل ما تريد

فيسأل سؤالاً هل أسافر أو لا أسافر؟ فيكتب الجني في الورقة البيضاء في يد الكاهن أو العراف، يكتب الجواب، يا سلام! الكرامات! المعجزات الباهرات!

يا أيها المغفلون إنكم لم تحتكموا إلى دين الله ولم تتعلموا من رسول الله ﷺ الفصل في القضايا.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: سُئل رسول الله ﷺ عن أناس من العرافين فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**ليسوا بشيء**» (حكم قاطع، بتر الباطل) فقيل: يا رسول الله إنهم يقولون في بعض الأحيان حقًّا، أو يقولون فيصدقون، أو يقولون فيصدفون وهي روايات كثيرة، فقال: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا مِنْ الْجِنِّيِّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**» [رواه البخاري] الجني يفعل هذا. وقد نهينا أن نرتكن إلى هؤلاء.

فلا صلاة مع الذهاب إلى الكهان، فلا صلاة مقبولة، ولا صلة موصولة ولا عبادة صحيحة.

يقول أسعد الخلق ﷺ: «**من ذهب إلى عراف فسأله فصدقه، لا تُقْبَل صلاته أربعين يومًا**» لا يقبلها الله فهذا نوع من الشرك.

يقول أسعد الخلق صلوات الله وسلامه عليه: «**الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنْ الْجِبْتِ**» [سنن أبي داود] العيافة: هي الخط الذي يدجل به الدجالون من كتابة ألوان من السحر، الطيرة: هي التشاؤم، الطرق: الكهانة، من الجبت: من الطاغوت ومن الكهانة ومن السحر، قل في الجبت ما شئت، فقد أعطي جوامع الكلم فجمع كل الفساد في كلمة الجبت بيانًا للبشر حتى يحذروا.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنا حديث عهد بجاهلية وقد جاءنا الإسلام أو وقد جاء الله بالإسلام، وفينا رجال يأتون الكهان، فقال ﷺ: لا تأتهم. لا تأتهم. لا تأتهم انتهت القضية، نهي ونهي صريح:

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1].

والطامة الكبرى ما يصدقه الآباء والأمهات والناس مما يقوله الدجالون؛ فقد قرأنا بالأمس في صحيفة الأهرام وغيرها من امرأة علقها العراف أو الكاهن علقها في سقف البيت في بكرة وأخذ يضربها ليطرد الجني، فماتت بين يديه.

هل هناك أكثر من هذا؟ أن نقذف بأبنائنا وبناتنا إلى المهلكات؟ بنت تعلق في السقف، ورجل غير محرم يضربها ويعالجها ويختلط بها.. على مرأى ومسمع من أبوين ضالين! ما هذا؟! هل هذا حق؟! هل هذا هو المصير الذي ينتظره الناس من الكهان والعرافين؟!.

*** أيها المسلمون ***

اتقوا الله في عقيدتكم، فهذا نوع من الشرك، وأسلوب من الضلال، شيء خطير يحدث في الأمة، يذهب الناس إلى هؤلاء، والإسلام بصائر وهدى للعالمين.

إن الله حكم على الجن من قديم في عهد سيدنا سليمان ﷺ وفي مولد رسول الله ﷺ وجاءت الشهب التي تحفظ السماء من استراق السمع، ثم قالت الجن واعترفت: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۞ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[2].

وكانت التجربة في عهد سيدنا سليمان ﷺ فهو النبي الوحيد الذي أماته الله واقفًا: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[3].

---

(١) البقرة:٢٨٥.
(٢) الجن:٩-١٠.
(٣) سبأ:١٤.

فلا مستقبل يعلمه الجن إنما يحاكي القرين في حوادث الأمور وهذا أمر بسيط من طبائع الجن ومن أفعاله التي خلق عليها.

*** أيها المسلمون ***

اتقوا الله في عقيدتكم، واتقوا الله في أزواجكم، واتقوا الله في أنفسكم حتى نكون من الناجين في الدنيا وفي الآخرة.

عباد الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعًا، أو كما قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

۞۞۞

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد..

قد ذكر لي رجل تاب إلى الله سبحانه وتعالى، ذكر لي أنه كان يعمل مع رجل ساحر، وكان في مصر القديمة. وذكر لي أن الواحد من الناس، أو الواحدة منهم تأتي إليه أو يأتي إليه في مشكلة كبرى من المشاكل، ثم يأخذ اسمه واسم أمه ويعده أن يأته في يوم آخر فقال لي هذا المساعد، عندنا كيزان مصدية، وشقف وزبل حمام (تعبيره..!) فيكتب اسم الرجل واسم أمه في دائرة بالقلم الأحمر ثم يشخبط ما شاء له ويوضع هذا في كوز من الكيزان وقد اتفقوا مع تُرَبِى من التُرَبيَّة الذين يدفنون الموتى، ويأخذ هذا الكوز بما فيه إلى قبر من المقابر أو إلى تربة من الترب، فالتُرَبِي يعلم المكان والمساعد يعلم المكان على اتفاق مع الساحر، فيأتي الرجل وفيه هم كبير، ولا يَصْطاد إلا الأغنياء، أما المسلم الفقير فيُطْرد فهذا كَحْيان لا يؤخذ منه شيء، فليسوا مسخرين للكحيانين وإنما

لأصحاب الأموال المغفلين.

فيقول الساحر له: «معمول له عمل، فيرد الرجل: اعمل معروف، يا سيدنا الشيخ اعمل معروف. فيقول الساحر: في الحقيقة إني ذكرت لـه الموضـوع ومـا ليش دعوة بالأعمال، الرجل: أنت تعرف كل حاجة وأنا تحت أمرك، الساحر: طيب تعالّ بكرة نكون عرفنا فين العمل، ويذهب الرجل على أمل بعد أن دفع ما دفع، وبقدر ما دفع تُيَسَّر الأمور، وتُخرج الكيزان، ثم يأتي في اليوم الموعود.

الساحر: علشان خاطرك بس، أنت رجـل طيـب، بـس الموضـوع حـانروح لتُرَبي.

الرجل: زي ما أنت عاوز، مـن جنيـه لألـف ومـن ألـف إلى عشـرة آلاف. وتفضل، فيذهبون إلى التربي عديم الضمير الضلالي ثم يسألون عن المكان. أين التربة اللي جنب الحيطة في الجهة الشرقية (مـا هـو العمـل هنـا)؟ فيـذهبون إلى التربة، ويبحثون عن التربي، التربي: ده حرام ننـزل في الـترب، وفي الليـل مـش حرام.. الساحر والمساعد: إحنا تحت أمرك بـلاش فضـايح، واللـي أنـت عـايزه خذه، فيُعطى ما يُعطى وتشترى الضمائر! حتى عند المقابر التي يَعْتَبر بها المسـلم ويتعظ عندها. فهي المصير! ولكن بيعت الضمائر بفتات الدنيا، ثم ينزل التربـي بعلم وبتوجيه من الساحر (شمال، يمين، وهو يعلم المكان!) الله، الله، يصرخ من تحت، ويصرخ الساحر من فوق (لأنهم وجود العمل) هذه ألاعيب ودجل وفتنة وضلال وفسق يدور في الأمة، هذا اكتشف وغيره..

المهم يخرج الكوز في تسـبيحات وتجليـات، يُـذكر الله بألسـنة أهـل الباطـل ويصدق المصدقون، فيخرج الكوز، ويخرج تحت شمعة الورقـة، تُخْـرَج الورقـة فتُفتَّح فإذا فيها الاسم واسم الأم، ويصدق الرجل وبالإيحاء يتصور أنه قد شُفي مما هو فيه أو قد نجا من المصيبة، سَيُيَسَّر له الأمر وانفك العمل! أي عمل هذا؟!

أي عمل هذا؟!! اتقوا الله فلا عمل وإنما هي أعمالكم السيئة وعدم اتصالكم بالله، وما أنتم فيه من سوء العقيدة والعبادة. من أراد أن يسلم فليتعلم من النبي ﷺ كيف يحفظ من الإنس والجن.

فقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي في الصباح حفظه الله إلى المساء، ومن قرأها في المساء حفظه الله إلى الصباح**».

وفي ليلة العرس في البناء لسيدنا علي -رضي الله عنه- ولسيدتنا البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها.

قال ﷺ: «**إذا أويتما إلى فراشكما فقولا سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين أو أربعًا وثلاثين، فما تعوذ المتعوذون بأفضل من هذا**».

كذلك من قرأ (آخر البقرة) وآخر (الحشر) ومن قرأ «قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» كما كان يفعل ﷺ فهذا هو الحفظ وهذا هو الخير الذي يجعله الإنسان أمانًا من الشيطان والحسد والبغضاء والكره والعداوة وما وراء ذلك.

ودخل النبي ﷺ على سيدنا أبي هريرة فقال له: «**يا أبا هريرة ألا أرقيك برقية رقانيها جبريل**» فوضع يده عليه وقال: «**بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داء فيك ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾**»[سنن ان ماجه]. **هذا هو الشفاء.**

ومن يحفظ الفاتحة فاعلموا القول فيها، هي الفاتحة وهي الشافية والكافية وهي العافية وهي السبع المثاني وهي أم القرآن، وقد رَقَى بها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال له ﷺ: وما أدراك أنها رقية؟. قال: ألقي في روعي يا رسول الله (أي ألهمني الله). ولا يلهم الله إلا الصالحين، وما يعطي الله إلا المتقين فاستعدوا لعطاء الله ونوره، وما عنده من فضل وخير لكم، ويُحجب

ذلك بالعرافين وأهل الجن والورق والكتاشين وما وراء ذلك من علم الكف الباطل وما هو هناك من ضلال وفتن استقرت في أرض الإسلام.

*** أيها المسلمون ***

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

وإذا خرجت من بيتك فتوكل على الله وقل: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فمن قال ذلك كما ورد في الحديث قال له المَلَكُ: كُفيتَ وهُدِيتَ ووُقيتَ، وتَنَحّى عنه الشيطان. **احفظوها.**

«بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك، ودوام الإقبال عليك، وقنا شر وسواس الشيطان وقنا شر الإنس والجان. اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين المتوكلين. اللهم احفظ علينا عقيدتنا واحفظ علينا أعمالنا واجعلنا من عبادك الصالحين. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم، ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم، ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم. واختم لنا بخير أجمعين.

كما نسألك يا الله أن توفقنا وولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه يا رب العالمين عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

أقم الصلاة.

---

(١) الطلاق: ٢،٣.

الخطبة الرابعة

المرأة في الإسلام[1]

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد..

الإنسان صنعة الله، خلقه فأحسن خلقه، وكرمه فأحسن تكريمه، لأن الله سبحانه وتعالى عندما يخلق شيئًا يخلقه على كمال. وعندما يمن عليه، يمن عليه من كماله، فتم الأمر، لا نقص في الخلق ولا نقص في التكريم، وحاشا لله تبارك وتعالى أن يخلق شيئًا ناقصًا، وأجمل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2].

ولا يُقْصَد بالإنسان أو بني آدم، إنسان دون إنسان، ولا يقصد به الذكور فقط. فالمرأة خلق الله وهي إنسان، نالها تكريم الخِلْقَة ونالها تكريم الرسالة، والرسالة بدأت ببيان الإنسان ذكرًا وأنثى، بدأت بداية الطُهر في التكوين وبداية الشرف في هذا المجتمع العريق على مبدأ واحد، وعلى منهاج سَوِيّ لا يتأثر بمؤثرات فِكر مُدَمر، ولا بفلسفة تخرج الغرض عن معناه.

فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

(١) خطبة الجمعة ٢٥/٩/١٩٩٥ بمسجد الجامع الأزهر الشريف.
(٢) الإسراء: ٧٠.

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

بدأ بخلق سيدنا آدم عليه السلام ولم يقل وخلق منها امرأة أو خلق منها أنثى، وإنما جاء بتعبير الرفعة والسمو والرقي بالمجتمعات وإظهار الحضارة البشرية في أول اثنين بين الذكر والأنثى، فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ والزوجة هي الصاحب بالجنب ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أي وبث من الزوجين الطاهرين الكاملين الذرية الطيبة الكريمة التي نبعت من هذا المعين الصافي غير الآسن والذي لم يصب بأي تلوث أو تغيير ليمتد المجتمع إلى ما لا نهاية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، واتسع المجتمع فأصبحت الأرحام والأقارب.

هذه بداية سورة «النساء» ولم تكن بداية سورة «الرجال» فلم تأت سورة تسمى باسم الرجال، حتى يخبر الله العالم في بداية سورة سماها بالنساء، أين مكانة النساء، وما هو وضعهن الكامل المكرم الشريف.

اقرأ الآية مرة أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]

وجاءت سورة النساء وهي رابع سورة بعد الفاتحة، والبقرة التي بُقِرَت بالخير والتشريع والعلم، لآل عمران الذين يعمرون الأرض، لا من الرجال فقط وإنما من الرجال والنساء فجاءت سورة النساء لكمال الأمر وتمامه.

*** أيها المسلمون ***

ذُكر أمر النساء في القرآن في ست سور، إظهارًا لقدرهن ولعِظَم رسالتهن

(١) النساء:١.

(٢) النساء:١.

في الحياة، لا لتنطلق بأسماء مختلفة أو بحريات زائغة تقضي عليها وتودي بها وتبعدها عن شأن الكرامة في الأرض، فسمى الله سورة بسورة النساء، وجاءت سورة مريم، وهي سيدة نساء العالمين في وقتها، وجاءت سورة المجادلة، وجاءت سورة الممتحنة، وجاءت سورة الطلاق، وسورة التحريم.

ست سور لم تكن للرجال وإنما كانت للنساء حتى يفهم العالم ما هي المرأة وما دورها الجليل، وما شأنها عند الله، وما كلفها من رسالة هي المرأة لا يُنظر إليها؛ لأنها مضطهدة، اضطهدها غير المسلمين واضطهدها غير الإسلام، وقتلوها موءودة، بُقِرَت في الأرض وديست بالأقدام، وكانت تحت التراب وهي حية لا ذنب لها ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[1].

كان الناس يحزنون ويقيمون ليالي الحزن إذا جاء المولود أنثى، فجعل الله الأنثى باعتبار عظيم ونعى على هؤلاء كيف يحزن الناس للأنثى وهي خلق الله ﴿يَهَبُ لِمَن يَّشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَّشَاءُ الذُّكُورَ﴾[2] فقدم الإناث على الذكور كرامة لهن.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3] فكانت الإساءة لمن يفرق بين الرجل والمرأة، لمن يسيء إلى المرأة، لمن يقتلها حية دون ذنب، لمن يدمر حياتها ويشتت رسالتها التي خلقت من أجلها.

*** أيها المسلمون ***

من النساء والرجال كانت الشعوب وتلاحمت الأمم، ويأتي الله بآية العالمية

---

(١) التكوير:٨.
(٢) الشورى:٤٩.
(٣) النحل:٥٨, ٥٩.

لعالمية المجتمع، ولم يفصل المرأة عن الرجال فلا يتم المجتمع إلا بالذكر والأنثى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

فلا يفضل الذكر لذكورته، إنما له قوامة الإدارة فقط. فعندما يتولى رئيس الدولة أمر الدولة، فلا يفضل على أحد في إنسانيته، فهذا إنسان وهذا إنسان، وإنما هذا مكلف بأمر الناس.

ولا يفضل الوزير لأنه وزير، إن الأمر يحتاج إلى قوامة أمر وإدارة أمر في البيت، والذكر يسعى ويتعب ويسافر من أجل كرامة البيت، والمرأة في بيتها من أجل كرامة بيته، وهنا التقت المسئولية.

ولم يفرق الرسول ﷺ بين الرجل والمرأة أو بين الزوج والزوجة في البيت: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا» [رواه البخاري].

*** أيها المسلمون ***

في سورة «الليل» يأتي القسم، ومن القسم أقسم الله بالذكر والأنثى من أجل السعي، كلنا يسعى لإقامة الحياة، وكلٌ له مسئوليته الرجل والمرأة الذكر والأنثى، في إطار الكمال والطُهر والرسالة التي هيأها الله للناس. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۞ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ۞ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾[2].

وما خلق الذكر والأنثى، أي والذي خلق الذكر والأنثى إنه قسم، إن سعيكم لشتى، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞

(١) الحجرات:١٣.
(٢) الليل:١-٤.

﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[1].

(لم يفرق بين الذكر والأنثى).

*** أيها المسلمون ***

كلنا يقرأ القرآن أو يستمع، ومررنا على هذه النداءات التي ينادي الله بها على خلقه، فيبدأ بالإنسان. ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[2].

هل فرق بين الذكر والأنثى؟ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. هل فرق بين الذكر والأنثى؟ هل هناك أناس ذكور لها خطاب وأناس إناث لهن خطاب؟! الكل واحد أمام نداء الله تبارك وتعالى.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في خطابات الأخلاق والتشريع والأحكام، والحِكَم والأخلاق، هل هناك فرق بين الذين آمنوا من الذكور والذين آمنوا من الإناث؟

إن علماء اللغة قالوا: إذا جاء الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كان للذكور والإناث على حد سواء. عندما يخاطب الله النبي ﷺ ، يرفع نساء الأمة في هذا الخطاب إلى مقام نساء النبي ﷺ في التشريع، التشريع واحد لزوجات رسول الله ﷺ ولبقية الأمة في آيات الأحكام ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾[3].

*** أيها المسلمون ***

رفع الله بيت النبوة إلى مقام الأمومة، وهذا تعظيم لشأنها ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى

(١) الليل:٥-١٠.
(٢) الانفطار:٦-٨.
(٣) الأحزاب:٥٩.

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1].

مع هذه الأمومة لم ينفصلن عن الحكم إذا أسأن، يطبق الحكم على الجميع لا فرق بين زوجة نبي أو زوجة صحابي أو زوجة تابعي أو زوجة أي واحد من الأمة ولكنها رفعت فاشتد الأمر عليها. ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[2].

كلما رفع شأن المرأة خشيت الفتنة على نفسها، من صوتها فحرم الله الصوت الذي يؤدي إلى شغل ضعاف القلوب وأصحاب الشهوات. فما بالكم بحرية خلع الملابس وما وراء ذلك من الفسق والفجور والضلال؟! الصوت له كرامته، وله شأن عند الله كرمها الله في ذلك. فما بالنا في أعظم من ذلك؟ إنه خطر والخطر العظيم.

*** أيها المسلمون ***

لا تحيز في الحدود، يستوي فيها الرجل والمرأة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾[3] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾[4]. مهما كان الإنسان ذكرًا أو أنثى.

قال ﷺ عندما أرادوا الشفاعة في حد من حدود الله فقال ﷺ: «إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» [النسائي].

*** أيها المسلمون ***

إنها المرأة مكرمة معززة، لها رسالة، لها دور في شرف وإطار الشريعة التي جعلها الله نورًا لها وبركة عليها حتى لا تضيع بين من يضيع حضارة الإنسان

(١) الأحزاب:٦.
(٢) الأحزاب:٣٢.
(٣) البقرة:٢٢٩.
(٤) البقرة:١٨٧.

ويدمر قوامة البشر، فهذا إفك وإفك مبين.

*** أيها المسلمون ***

إن المرأة، لو عُقِد مؤتمر باسم الإسلام لتعلم العالم من هي المرأة وعرفت الدنيا ما ذُكر في شأنها، وما حقق الله لها، تستوي في اللفظ: ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ**﴾[1]. ويخاطب الله الرجال: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[2].

ويخاطب النبي ﷺ الأمة في حجة الوداع، يخاطبهم في المرأة: «**إن خياركم، خياركم لنسائهم، إن خياركم، خياركم لنسائهم فاستوصوا بالنساء خيرًا**» .

ويقول ﷺ: «**خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[سنن الترمذي].

هذه هي المرأة في خلقتها العظيمة وفي تكريمها الجليل وفي دورها العظيم حتى يفهم الناس وحتى لا يَعْوجوا بفكر أراد الاعوجاج، وحتى لا يتفككوا في أسرهم وفي أوطانهم بأفكار الدمار.

عباد الله: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعًا.

أو كما قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد..

طالعتنا وكالات الأنباء والصحف بجميع أنواعها واتجاهاتها بأن المؤتمر بدأ

(١) النساء:٧.
(٢) النساء:١٩.

بهتافات عالية وصيحات من هنا وهناك، ثورة قد بدأت، صاح النساء في المؤتمر، ثورة قد بدأت، ضد أي شيء؟! وضد من؟!

كنا نتمنى أن تكون الثورة ضد الزنا الذي ضيع المرأة، وضد المرأة التي أُنْتُهكت كرامتها بزواج المحارم. وكنا نتمنى أن تكون الثورة ضد مجرمي الصرب الذين انتهكوا حرمات النساء، هل هناك فرق بين امرأة وامرأة؟ هذه امرأة مسلمة انتهكت حرماتها وضاعت كرامتها.

في كثير من بلدان العالم تشترى البنات وتباع كالرقيق الأبيض، كل هذا ضد المرأة، أين المؤتمر من هذه الأشياء؟! المؤتمر الذي وضع وثيقته دون حضور بقية المؤتمرين، بل وضعها بعض الناس لأغراض ولأمور ولأبعاد يدركونها، وقد كشفها الله تبارك وتعالى.

أيها المسلمون

المؤتمر يطالب بحقوق المرأة، وهذا طبعًا في غير الإسلام. حقوق المرأة في العمل، المرأة تريد أن تعمل وأن تتساوى بالرجل في العمل، نفترض أنها عملت، هل هذا على حساب أطفالها أم لا؟ أين حق الطفل؟! الذي يشرد هنا وهناك بين أم عجوز مسكينة، جَدّة لا تستطيع التحرك من السكر والضغط وألم الظهر وما وراء ذلك، أو بين مربية أجنبية، أو بين ضياع في ضياع، ضاعت الأسرة وضاع الأطفال.

سؤال:

إن الطفل الذي ترك، هل هم أطفال ذكور فقط حتى تتم الثورة على الرجال وعلى الأطفال الذكور، أم في الأسرة إناث؟ فالمرأة ضد الإناث الأطفال الذين شردوا، ولم يجدوا الحاضن.

هذه المؤتمرات لا تُعنى بالأسرة ولا تُعنى بالأطفال، وتعالوا إلى ثورات في أوروبا.

المرأة ثارت؛ لأنها أصبحت آلة تريد رجلاً يرعاها، تعبت وفي بعض البلاد أوقفوا العمل للأنثى عند سن الأربعين حتى تكمل رسالتها، وبعض، وبعض، وبعض، ثار العالم على نفسه من أجل انتهاك حرمة النساء، ونحن نريد أن نعيد ما تركه الناس، وإن تعجَبْ فعجب قولهم.

أيها المسلمون لا ينكر أن بعض الأصوات نادت وبينت شأن الإسلام في المرأة، كما ذكرت البلاد العربية والإسلامية ومنها باكستان، ومصر وما وراء ذلك. ذكروا أننا ببلاد لا نستطيع أن نطبق توصيات المؤتمر في بلاد إسلامية تبيح ما حرّمه الإسلام، وتشتت ما جمعه الإسلام وأن تكون الأسرة في مهب الرياح.

أيها المسلمون إنها مؤتمرات لا تسمن ولا تغني من جوع. إذا كان هناك حق للمرأة، فهناك نساء في إفريقيا لا يجدن لقمة العيش، وهناك نساء في إفريقيا وغيرها، لاجئات ينتظرن المعونة، إنها المرأة التي ضاعت باسم المؤتمرات.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم أرنا الحق حقًّا فنتبعه، وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه، برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم حقق فيك آمالنا، وأكرمنا وأكرم بنا، وأكرمنا ولا تُهنا واجعلنا تحت راية دينك يا رب العالمين، اللهم ارحم المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وتابع بيننا وبينهم بالخيرات والبركات يا رب العالمين، اللهم خلص النساء من الظالمين. اللهم اجعلهن في بيوتهن مكرمات يا رب العالمين، اللهم حقق فيك آمالنا واجعلنا على صراطك السوي يا أرحم الراحمين. كما نسألك يا الله أن توفقنا وولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه يا رب العالمين.

عباد الله..

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. أقم الصلاة.

الخطبة الخامسة

الزي والرداء الإسلامي[1]

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد..

الإسلام دين الله الحنيف، وشرعه الحكيم، ومنهاجه القويم، وصراطه المستقيم.

اختاره الله سبحانه وتعالى سبيلاً للرشاد، وسبيلاً لحياة طيبة كريمة في الدنيا وجعله سببًا لسعادة الآخرة، فلا نجاة إلا بهذا الدين وإقامته بحكمته وأحكامه كما أنزله الله سبحانه وتعالى.

والإسلام من أول سيدنا آدم عليه السلام إلى سيد الخلق ﷺ هو منهاج واحد، يدعو إلى التوحيد ويدعو إلى الهداية وإن اختلفت الأحكام من عصر إلى عصر، ولكن جاء الإسلام دينًا كاملاً تامًّا لا نقص فيه ولا تغيير بعده ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾[2].

(١) خطبة الجمعة من المسجد الجامع الأزهر الشريف.
(٢) المائدة: ٣.

فقد أتم الله الإسلام دينًا وأنزل آياته وأنزل أحكامه على سيدنا محمد ﷺ. أنزله في كتابه ونطق به رسوله كتابًا وسنة، فجمع الله سبحانه وتعالى بين العصمتين ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(١).

فالقول معصوم، والقائل معصوم ﷺ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا۞ قَيِّمًا﴾(٢).

فالإسلام قيم، بقرآنه وسنته. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٣). أنزل الله قرآنه، وألهم رسوله بتأويل هذا القرآن كما أنزله ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(٤).

والإسلام بذلك لا يحتاج إلى اجتهاد أحد إلا في قياس لأمور على بعضها فالأصل بينه الإسلام، وما يأتي بعد، يقاس على الأصل، وأجمع العلماء على ذلك. فلا يجتهد إنسان في نص جاء في القرآن وأكدته السنة، أو لم يأت في القرآن وجاءت به السنة وأجمع عليه العلماء.

لا يحق لمخلوق مهما بلغ شأنه، ومهما كان ادعاؤه أن يدعي فكرًا جديدًا على الإسلام أو تأويلاً لم تُقِرَّه جماعة الإسلام أي بالإجماع، لا جماعة معينة ولا هيئة ولا أحد.

*** أيها المسلمون ***

إن الخطر الذي داهم الأمة وشتت فكرها وجعلها في بلبلة لا ينتهي مداها، ما تفرق فيه المسلمون من الدين، وما ألفه البعض وما اخترع، وما أول بغير

(١) النجم:٣-٤.
(٢) الكهف: ١،٢.
(٣) يوسف:٤٠.
(٤) القيامة:١٦-١٩.

تأويل السلف تأويل أهل العلم، وما جاء نصه في القرآن وفي السنة. فهذا قد حدث في الأمم السابقة فغيروا وبدلوا وأولوا فحرف الأمر.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[1].

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾.

وهذا سبب الاختلاف الذي حدث بينهم ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[2]. هذا نهي الله للأمة.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[3].

هذا أمر الله إلينا، بعد آية كانت خطرًا في الأمم السابقة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۞ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[4].

*** أيها المسلمون ***

في هذا الوقت ومن قبله، يتكلم بعض الناس في الإسلام، يختارون بعض الآيات ليثيروا بها الفتن، وليغيروا بها نفوس الناس وأخلاقهم، وهذه لعلل لا يعلمها إلا الله، إنها أغراض، ومآرب، هدانا الله وإياهم إلى سواء السبيل، ومن الخطر على الأمة أن يدور هذا بينها، فهناك ضعاف النفوس، وهناك من لا علم له، فيسري ذلك فيهم ويُصَدَّق، وكأنه شرع جديد أو إلغاء ما سبق من الأحكام الشرعية ليحدث هؤلاء فتنة بين الخلق ﴿مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾[5].

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

---

(١) المائدة:٤١.
(٢) آل عمران:١٠٥.
(٣) البينة:٥.
(٤) البينة:١-٤.
(٥) يوسف:٤٠.

﴿مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1].

بلغ بهؤلاء أنهم أحلوا حرامًا حرمه الله، وبدّلوا أحكامًا أقرّها الله وجاء بها رسول الله ﷺ وأجمعت الأمة على هذه الأحكام. من هذه الفتن، ما يدور بين حين وآخر، ولا أقصد شخصًا معينًا فكلهم في الرأي سواء.

في مسألة الحجاب، خاض الناس خوضًا كثيرًا في هذه الأيام ومن قبلها والقائل في ذلك ينقل كلام المفسرين دون أدلة، ينقل بالحرف الواحد أسباب النزول، ويقول: كان هذا في وقت وانتهى، وكان خاصًا بنساء الرسول وانتهى، وكان خاصًّا بالإماء والعبيد وانتهى.. **هذه ثغرة.**

ويأتي غيره بعد ذلك ويقول كما قال بعضهم من قبل في صحيفة من الصحف: إن الوضوء كان لنظافة العرب الذين يعيشون في البدو، ونحن في عصر النظافة والصابون والبانيو، فلا حاجة إلى وضوء. لقد قضوا على الوضوء حُكمًا، وبعد ذلك سيقولون في الصلاة والصيام والزكاة والحج كما بدأ القول في هذا الوقت.

ومسوا الحج من قريب إلى أن يُلغى كما قال أحد حكام العرب من قبل علانية من حوالي خمس سنوات، قال عن الحج: لا فائدة فيه الآن، وتكلم الناس في ذلك وأقاموا الحُجة وانتهى الأمر، ولكنها مداخل الشيطان بين حين وآخر.

*** أيها المسلمون ***

الإسلام بين أمر ونهي ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

الأمر قد يأمر الله به بغير سبب، كأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج،

(١) آل عمران:٧.
(٢) الحشر:٧.

والصدق والأمانة، إلى غير ذلك من الأحكام الفرضية والأخلاقية، وقد يكون النهي بغير سبب كأحكام السرقة والقتل والزنا واللواط وما شابه ذلك، وقد يكون الأمر والنهي لسبب، ينزل لسبب ويزول السبب ويبقى الحكم. كالنهي عن الخمر كان لسبب، وانتهى السبب وبقي الحكم، هل بمجرد انتهاء السبب تُحَلُّ الخمر الآن؟! لا يقول عاقل بهذا.

ولا يصح أن يذكر هذا القول، إنما كان النهي لسبب من الأسباب ثم بقي الحكم إلى يوم القيامة. كذلك في التيمم كان لسبب لفقد الماء، هل زال السبب وانتهى التيمم؟ التيمم أمر حكمي شرعي باقٍ إلى يوم القيامة، لا يتعلق بسبب سابق، وإنما كان رحمة من الله تعالى لتشريع هذا الحكم أمرًا ونهيًا بهذا السبب، وزال السبب وبقي الحكم. فقد يكون الأمر والنهي بغير سبب، وقد يكون الأمر والنهي لسبب، يزول السبب ويبقى الحكم. كآية الحجاب، والحجاب شيء، والرداء للنساء شيء آخر.

ولا يطلق الحجاب على رداء المرأة إلا تجاوزًا لحجب الفتنة، فتنة الوجه أو الجسم ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[1].

هذا بسبب دخول الناس إلى بيوت النبي ﷺ، فقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله إن بيتك يدخل فيه البار والفاجر، فلو سألت الله أن ينزل آية حجاب ليمنع ذلك. فنزلت آية الحجاب. وقال ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» [رواه البخاري]، فأُلهم بهذا الحكم فأنزله الله.

وكذلك الآية: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2]. قال رسول الله ﷺ:

(١) الأحزاب:٥٤.
(٢) البقرة:١٢٥.

«**لو صلينا في مقام إبراهيم أو اتخذناه مصلى**». فأنزل الله هذه الآية، وأنزل غيرها في بعض الأحكام.

هل كان هذا لسبب ثم يلغى هذا الحكم بعد ذلك؟! من يقول هذا؟! إنه حكم عام، لم يأت حكم آخر ولم ينسخ بحكم آخر، لا بحديث ولا رأي من الصحابة الذين قال فيهم ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». ويقول ﷺ: «الغيرة من الإيمان، والمذاء من النفاق». والمذاء: هو خلط النساء بالرجال.

يهذي بعضهم إلى بعض بكلام الفتنة وبكلام الهوى، كما يحدث الآن، أيحل هذا؟ لا يحل إلا في نظر هؤلاء الذين يبغون الفتنة ويريدونها شائعة بين الناس وهذه من علامات النفاق التي تحدث من أفواه الخلق المضلين حينًا بعد حين.

آية الجلباب، لا كلام فيها ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ**﴾[1].

قبل نزول هذه الآية كان النساء يخرجن لقضاء الحاجة من الحرائر والإماء (العبيد) فكان الناس يتعرضون للإماء والأحرار معًا، فأنزل الله هذه الآية حفظًا لكرامة المرأة ولزينتها وعفة لجسمها، وهذا من إكرام الله للنساء.

فكان الخطاب خطاب تشريف، وكان خطاب قدوة؛ لأن قدوة الأمة يبدأ ببيته وامرأته ونسائه، حتى يكن قدوة لباقي المؤمنات ولباقي البيوت ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ**﴾[2].

انتهى هذا العصر، هل يحل للمرأة أن تكشف شيئًا من جسمها بعد هذا؟!

---

(١) الأحزاب:٥٩.
(٢) الأحزاب:٥٩.

ما هو الجلباب؟

الجلباب هو الثوب الذي يستر جسم المرأة كله من أوله إلى آخره، ويبين ذلك ﷺ في الحديث الصحيح الذي روي عنه صلوات الله وسلامه عليه عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت أسماء بنت أبي بكر على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق يشف منها الجسم، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «**يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتْ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا هَـذَا وَهَـذَا وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ**» [رواه أبي داود]. وروي أن السيدة أم عتبة قالت: يا رسول الله، إن إحدانا لا تجد جلبابًا.

قال ﷺ: «**لتلبسها أختها من جلبابها**» (أي لتعيرها ثوبًا لو اضطرت لذلك)» [رواه أبو داود] فلا عذر، تأخذ ثوبًا من صديقة لها أو أخت لها حتى يتحقق الأمر القرآني فلا عذر، فهذه من النساء أمرت أن تستر جسمها ولو لم يكن عندها ثوب وجب عليها أن تستعير من أختها ثوبًا لتستر جسمها إلى أخمص[1] قدميها. هذه هي الآية التي لا جدال فيها ولا يتكلم فيها أحد. هل يؤتى بعد ذلك بكلام لإباحة كشف المرأة شيئًا من جسمها؟! من ذراعيها؟! أو من ساقيها أو من غير ذلك؟! من قال هذا؟!! ومن يتجرأ على الله لإحلال ما حرم الله؟!!.

إنها فتنة كبيرة ولكن لا تزيد المؤمنات الصادقات إلا قربًا من الله وسترًا وحفظًا وصونًا وتقوى إنه لا يصيب إلا أهل الهوى الذين يمالئون هؤلاء على هواهم، والطيور على أشكالها تقع.

*** أيها المسلمون ***

القضية المثارة الآن كما يقال على مسرح الحديث والجدل، وليس هناك حديث، وليس هناك جدل، وإنما هو خلق للفتن وبدع يتقولها الناس، لا أصل

(١) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.

لها ولا وجود إلا في عقولهم فقط.

مسألة كشف الرأس إنه شيء يدعو إلى التمهل. لم هذا التجني على دين الله؟ وما المراد؟

هل القضية المثارة الآن أمام مشاكل مصر وأمام مشاكل العرب وما يدور من قتل وسفك دماء، أن تكشف المرأة رأسها أو لا تكشف؟! وهل ستر المرأة من الإسلام أو ليس من الإسلام؟!

هل كان الفراغ لهذه الدرجة لكتابنا الأفاضل أن يتفرغوا لإثارة فتن ما أنزل الله بها من سلطان؟!

فليتكلموا في جمْع الشمل فليتكلموا في الدماء التي أسيلت وسفكت بلا وجه حق! هذا هو ما يدور الآن.

وإني أتعجب كما يتعجب الخلق جميعًا في مصر.. هل هذا وقته؟! ولماذا لا يكون أمام أصحاب الرأي والجدل حتى نخرج بنتيجة كريمة؟! أم أن الأمر لمن يملك صحيفة ليكتب فيها ما شاء أو مجلة ليكتب فيها ما شاء ولا رادع له باسم الديموقراطية، بئست الديموقراطية التي تجرح دين الله، وتعتدي على حرمات الله، ليست هذه حرية قط، فلم يقل بها أحد من قبل. الحرية هي أن نكون على حرية رأي لجمع شمل أو لإزالة فقر أو لإعمال عامل لا عمل له، أو لزراعة أو لتجارة.

هل الإسلام هو الكلأ المباح الذي يتكلم فيه كل من هب ودب؟! هل هذه شطارة؟! هل هذه من الأعمال التي تُعْطى الأوسمة من أجلها؟! ومن يقدر ذلك؟ أنا أتصور أن أي مسلم على وجه الأرض ولو كان عاصيًا لا يرضى أن يتعرض القرآن لهذا الهراء.

*** أيها المسلمون ***

مسألة الرأس واضحة لا تحتاج إلى رأي، جاء ذلك في سورة «النور» ووضع

الله نهيًا أو أمرًا حتى تَحفظ الناس في أعراضها وفي نسائها: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

غض البصر للمرأة: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهِنَّ أَو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو أَبْنَائِهِنَّ أَو أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو إِخْوَانِهِنَّ أَو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَو نِسَائِهِنَّ أَو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]

القضية في قضية الخِمَار حتى ننتهي من هذا الأمر.

الخِمَار: أجمع العرب والعجم من قبل ومن بعد أن الخِمَار هو ما يغطي الرأس ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[3].

والسبب كما ذكره الكاتب.

كان ذلك في وقت كان النساء يضربن بالخُمُر ويسدلن الخمار خلف الرأس على الظهر، فأمر الله المؤمنات أن يتغير ذلك تغطية للعنق وللنحر وللأذنين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[4].

فالخمار لا خلاف فيه! الخمار لا خلاف فيه! الخلاف هو هل يسدل إلى الظهر أم إلى الأمام؟ تغييرًا للوضع السابق حتى تُستَر هذه الأشياء، يُستَر العنق والنحر وتُستَر الأذنان، انتهت القضية لا تحتاج إلى تأويل جديد ولا إلى رأي ولا إحلال حرام، ولا إلى أي نقاش أو جدال في هذا الأمر.

---

(١) النور:٣٠.
(٢) النور:٣١.
(٣) النور:٣١
(٤) النور: ٣١.

ثم يقول كل من يكتب: هذا على مسئوليتي!

إذا كان الرسول ﷺ وهو الرسول النبي المختار المعصوم لم يقل ذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1]. حتى لو قال: وعلى مسئوليتي فَيَصِحُّ له ذلك.

أما أنت فلست بنبي ولا برسول ولست بمعصوم، أي مسئولية عليك؟! مسئوليتك بين يدي الله يوم القيامة.

يقول الله تبارك وتعالى في حق رسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2].

اطمئن أيها الكاتب، فلن تُمس بسوء؛ لأن هذا القول صادف الهوى في بعض نفوس الناس وإن صادف الهوى فلا شيء عليك، ومسئوليتك محفوظة فلن يعارضك أحد. الذي سيسألك واحدٌ فقط هو الله الحي القيوم، قل له يوم القيامة: كان هذا على مسئوليتي يا ربي، ثم انتظر منه الإجابة يوم القيامة.

*** أيها المسلمون ***

هذا ما نتعرض له بين حين وآخر، ولكن المنبر الشريف لا يتعرض لأحد بتجريح، وإنما الرأي بالرأي والحُجة بالحُجَّة وإن كان ليس هناك رأي! وليس هناك حُجَّة. ربنا اغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلنا وما أنت أعلم به منا. عباد الله استغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعًا. أو كما قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

۞۞۞

(١) الكهف: ١١٠.
(٢) الحاقة: ٤٤-٤٧.

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد..

يقول أسعد الخلق ﷺ في حديثه الصحيح: «**نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا**» [رواه مسلم].
رؤوسهن كأسنام البُخت: الأشكال المختلفة في الرؤوس والشعر. ما القول في هذا؟

إنه قول معصوم ينبئ عما يحدث إلى يوم القيامة، وعما يفعل النساء في هذه العصور المختلفة، وما يجدن من تشجيع وآراء تُقَوِّي شياطينهن.

*** أيها المسلمون ***

وبين حين وآخر يقال إن الملبس لعِلة الفقر؛ لأن المرأة لا تجد ثمن الأثواب الغالية!! نِعْم المرأة التي تواضعت ولبست لبسًا طاهرًا كريمًا سترت به رأسها وسترت به جسمها، وليس لفقر فنجد كثيرًا من النساء ذوات المال والجاه قد التزمن بالإسلام فأين علة الفقر؟! هل كل من لبست الملبس (الإسلامي) فقيرة؟! اتقوا الله في الادعاء وإذا قلتم كلامًا فأقيموا الحُجَّة.

والمرأة الفقيرة إذا ارتدت وأرضت ربها، ما عيبها؟! أتخلع ثوبها لترضيك أنت؟ ويرضى أعوانك باسم الحرية؟! هل الحرية أن تكشف المرأة جسمها للشيطان؟! ويكون لحمها عرضة لسهام العيون؟! هل هذا مطلق الحرية عند هؤلاء؟! شيء غريب!! هل حصرت الحرية في ذلك؟!

ما هذا المعنى المكرر السخيف مثل الحريات؟! انطلقي أيتها المرأة!!

والمرأة تحتاج إلى توجيه سديد ليس بالقهر. وليس الزي أمرًا سياسيًّا كما

يقال إنما الزي أمر شرعي يلبسه النساء مرضاة لله تبارك وتعالى. فهل كل امرأة تلبس زيًا شرعيًّا تنتمي إلى حزب أو هيئة أو جماعة؟! ما هذا الادعاء.

إنها أقوال متضاربة والشيء يسقط بعضه والفتوى قد كثرت من أفواه الناس من هنا ومن هناك. وكما قال أحد الشعراء:

إن أصبح الديك مفتيًا فلا عجبا إذا تولى القضا في القوم كتكوتُ

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. اللهم أرنا الحق حقًا فنتبعه، وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اهدنا واهد بنا ووفقنا إلى ما تحبه وترضاه يا رب العالمين. اللهم كن لنا ولا تكن علينا. اللهم انصر دينك الذي أكرمتنا به، وانصر أهله وأعوانه والمؤمنين به. اللهم أيدهم بتأييدك وأعل شوكتهم ورايتهم يا رب العالمين. اللهم قو شوكتهم يا قوي يا متين. اللهم ثبت هذا الدين في قلوب عبادك حتى يتغير الأمر طهرًا وكرامة وعزة يا أرحم الراحمين، كما نسألك يا الله أن تنصر إخواننا المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن توفق كُتَّابنا إلى نصرتهم وإلى تأييدهم وإلى الوقوف بجوارهم بدل الخلاف بين الرأس والثوب والشراب والخلع، فهذه أسطوانة مشروخة كثر الكلام فيها فابحثوا عن الجد وابحثوا عن الخير بدلاً من هذا الهراء.

عباد الله..

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

أقم الصلاة.

۞۞۞

الخطبة السادسة

ويسألونك عن الروح

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] **فالله سبحانه وتعالى خالق الكرسي والعرش والسماء والأرض خالق العالم العلوي.**

وخلق في هذا الفضاء كواكب ونجوم ثم سَيَّر هذا العالم العلوي وسير هذه الكواكب السفلية والنجوم وجعلها تتحرك ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ۞ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2] هذه المخلوقات لولا أن الله تعالى وضع فيها روحا لما تحركت ولما أدت وظائفها بهذه الدقة ما هيه هذه الروح وكيفية هذا الروح هي ما وضعه الله تعالى في الشيء فيؤدي وظيفته ثم إذا نزع هذا السر لم يستطيع هذا الشيء أن يؤدي وظيفته، فالشمس فيها روح غير الروح التي في القمر سائر الكواكب فيه سر خاص وفيه قدره خاصة اختلفت عن الآخر ما دام هذا السر موجودًا كانت الحركة وإذا نزع

(١) الإسراء:٨٥.
(٢) يس:٣٨-٤٠.

الحركة فأصبح خرابًا لا شيء فيه، كذلك الماء أكسجين وهيدروجين مادة مستقلة ومادة تساعد على الاشتعال ثم جمعها الله تعالى ووضع في هذا الجمع سرا خاصا ثم نقله من مادة محركة مزيلة مهلكة إلى الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]، وكذلك الهواء مادتان خطيرتان جمعها الله تعالى بروح خاصة وبسر خاص فكان الهواء سر الحياة، لا تستطيع أن تحيا بلا هواء، إذا انقطع الهواء قدرًا من الوقت انعدمت الحياة، وإذا وُجِد وجدت الحياة. ففي الهواء سر وفي الماء سر وفي الكواكب سر.

وأصور لكم مثالا تصويريا للتقريب للكون - فكلنا يعرف البيضة التي تؤكل، مكونة من صفار وبياض فوق الصفار ومن جلدة رقيقة فوق البياض ومن جلدة سميكة هي فوق هؤلاء. فالأرض والكواكب والنجوم هي الصفار والسموات المحيطة بهذه الأفلاك هي البياض المحيط بالصفار، والكرسي الذي يحيط بالسموات كالجلدة الرقيقة المحيطة بالبياض والصفار ولذلك يقول تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[2] وفوق ذلك العرش المحيط بالكرسي كما تحبط الجلدة السميكة بكل البيضة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[3] هذا تصور بسيط، ولكن الحقيقة غير ذلك، ولكن قلنا ذلك للتصور والتبسيط. ثم يذكر الله أن هذا السر إذا نزع أصبح هذا الشيء لا فائدة فيه ولا وظيفة له ولا قيمة له فيقول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[4].

نزع الله هذه الروح من الشمس فانتهت أي الشمس فإن كانت شمس المجموعة الشمسية أو أي شمس في مجرّة من مجراة العالم. إذا الشمس كورت نزع

(١) الأنبياء: ٣٠.
(٢) البقرة: ٢٥٥.
(٣) طه:٥.
(٤) التكوير:١.

السر فصارت خرابًا ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾[1] أي نزع سرها فانكدرت وأصبحت كما مهملا لا قيمة له، وكذلك الجبال قائمة على سر وفيها روح لو نزعت هذه الروح من هذا الجبل انظروا إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ أي كالصرف المنفوش المفكك. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾[2] ثم يقول الله تعالى في البحار في الماء: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[3] أي نزع منها هذا السر فظهر أثر النار فيها، ولذلك علميا إذا كانت الحرائق على درجة مئوية عالية، لا تطفأ بالماء؛ لأن قوة النار تُفَجِّر الماء فيساعد الماء على الاشتعال.

ولذلك يفيد العلماء أن الماء يتفجر عند درجة مئوية معينة من الحريق ومن الالتهاب. إذن هناك روح في الجبال. روح في الماء.. روح في الكواكب.. روح في الهواء.. روح الملأ الأعلى.. كل كائن تختلف هيئة روحه عن الآخر. وان كان هذا سر الحياة.. وإن كان هذا سر الحياة، وان كان هذا سر الحياة. كذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾[4] الآفاق: الأجرام الكبرى العظيمة الخطيرة فيها سر الحياة ولولا أن هناك سرًّا فيها ما كانت آية فالذي جعلها آية أن فيها سر ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[5]....﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[6] نترك الإنسان فهو المراد في هذه المقدمة، لنتركه حينا ثم نرى كلمة وفي أنفسكم أفلا تبصرون، إذا حللنا الدم..

(١) التكوير:١،٢.
(٢) طه:١٠٥-١٠٧.
(٣) التكوير:٦.
(٤) فصلت:٥٣.
(٥)فصلت:٥٣.
(٦) الذاريات:٢١.

كم فيه من جراثيم وكل جرثومة فيها روح في الدم، وكذلك المنيّ ففي هذا المنيّ ملايين الأرواح وسر الروح فيها وهي باقية وعَيشُهَا في هذا القدر من الماء في صلب الرجل؛ لتقوم بعملية الإخصاب، كذلك أمراض البلهارسيا في البول.. أرواح تؤدي وظائفها، ديدان البطن تؤدي وظائفها.

وكل جرثومة فيها روح... إذن أنت كإنسان فيك ملايين الأرواح تعيش في جسمك قهرا عنك، وكل جسم صَغُر أم كَبُر فيه سر الحياة. نظرة أخرى، الديدان... الجراثيم، إذا عطس الإنسان وكان عنده إنفلونزا...كم مليون جرثومة تخرج من العطسة الواحدة... من خلق هذه الأرواح وأحياها؟! الله تعالى!! كل جسم من هذه الجراثيم لا يعيش في جسم آخر. روح مهيأة لتعيش في البراز... روح مهيأة لتعيش في البول. روح مهيأة لتعيش في الإنفلونزا... روح مهيأة لتعيش في الدم وهذه أسرار في الإنسان.

الحيوان سَيَّرَه الله -عز وجل- بروح خاصة في الفيل والكلب والخنزير والأسد القوي والضعيف، كل هذه تعيش بسر لو نزعت الروح من الأسد ماذا بعد؟ تستطيع الهرة أن تنهش فيه كما تشاء.

وإذا نزع السر من النمر جاء كلب وأكل فيه ما شاء. لو كانت الروح موجودة هل يستطيع الكلب أن يقف أمام النمر أو الأسد أو الخرتيت؟

إذن سر الحياة... سر قوة الأسد روحه لو نزعت هذه الروح ما كان شيئا، سر الثعبان سر العقرب، سر الدود سر أي كائن في الأرض، لا يمكن أن يكون كائنا حيا أن يؤدي وظيفته على ما خلقه الله عليها إلا بهذا السر. عالم الطيور..النسر...الصقر...اليمام...الحمام...العصفور...السمان أي طائر.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي

الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1]. كل العوالم علويها وسفليها وما بينهما إنما كانت وأَدَّتْ حقيقة وظيفتها في الحياة بسر وصفه الله تعالى فيها وهى الروح.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]. وعندما قدم القرآن قدمه بالشمول والعموم وحمد نفسه أنه خلق الخلق ولم يتركه عبثا بل وضع في كل كائن سره ليحيا به. لم يقل صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حَجًّا ولا أوامر ولا نواهي ولا شيء.. بل أشعرك بأسرار هذا الكون مادة وروحًا، الروح وحدها لا تصلح... المادة وحدها لا تصلح، بل مزجهما مع بعضهما فأحوج المادة إلى الروح وأحوج الروح إلى المادة.. فقال: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[3]. ثم الذي انفرد ولم يحتج إلى روح هو الحق وحده. فكل ما سواه يحتاج إلى هذا السر، أما هو فلا يحتاج له؛ لأنه منزه عن التركيب هو المنفرد جل وعلا. فقال سبحانه...﴿وَالْفَجْرِ﴾[4] إذا انتهى ظلام العقل.. وتفجر العقل بنور الإيمان.

﴿وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[5] ثم أقسم بالكون كله شفعًا أي شيئان: مادة، وروح. فأقسم بالكون كله، ثم أقسم بذاته. فكل الكون شفع ما عداه فهو وتر. فقال: ﴿وَالْفَجْرِ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ۞ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾[6]. إذن الكون كله أو ما سوى الله شيئان أساسيان، وقد تكون المادة مركبة فمادة النملة غير مادة المَلَك. ولكن الملك يحتاج والنملة محتاجة. ثم

---

(١) الأنعام:٣٨.
(٢) الجاثية:٣٦،٣٧.
(٣) الفاتحة:١،٢.
(٤) الفجر:١.
(٥) الفجر:١،٢.
(٦) الفجر:١-٥.

ننتقل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمْ الْفُقَرَاءُ إلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1] ومن أفقر الفقر فيك أنك لا تملك شيئا فيك ألا وهي الروح، فقد تمكن الحق بلا منازع وملك بلا مشاغب، ولا مالك قبله مَلَكَ المادة وكوَّنها، ثم مَلَكَ الروح وبدايتها. إن الله خلق سيدنا آدم عليه السلام ثم كان مُدْرَجًا على الأرض...لا روح فيه. فجاء إبليس وضرب عليه، قال: ما هذا؟

قالوا هذا آدم خلقه الله من أديم الأرض. ومن صلصال كالفخار، من حمأ مسنون، من طين لازب، من تراب، من سلالة طين، كان طينا لازبا، ثم تعفن هذا الطين فصار حمأ مسنونا، ثم يبس فصار صلصالا كالفخار. هذه مدارج التكوين لهذا الإنسان ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[2] فدخلت الروح في سيدنا آدم فوعى عقله، حيث دخلت على المخ ثم أبصر بالروح... ثم عطس فشمتته الملائكة.. ثم قال بلسانه الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثم انتقلت الروح إلى الصدر، إلى الذراعين، وإلى البطن وإلى الفخدين، وإلى الساقين، وإلى الرجلين فملأت الظفر روحًا، كما ملأت العظم روحًا، كما ملأت اللحم روحًا... كما ملأت القلب والأجهزة والعين والبصر وكل شيء. فهذا سر الله في الإنسان وهو الروح. ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3] قهر الله الإنسان عند بدايته وقهره في نهايته فهو لا يملك هذا السر من البداية إلى النهاية. وفي الذرية أيضًا، عندما ورد في الحديث:

(إذا بلغ الجنين في بطن أمه اثنتين وأربعين ليلة جاء ملك ومعه صحيفة ثم قال يا ربي ذكر أم أنثى؟ فيقول الله...يا ربي رزقه؟ فيقول الله... يا ربي أجله؟

---

(١) فاطر:١٥.
(٢) التحريم:١٢.
(٣) لقمان:٣٤.

فيقول الله... يا ربي شقي أم سعيد؟ فيقول الله تعالى... ثم يستمر كذلك إلى أن يقرب حوالي الأربعة أشهر).

يدخل الله السر فيتحرك الجنين في بطن الأم ذات اليمين وذات اليسار... وهنا الحياة. بهذا نعلم يقينا أن هذه الروح هي سر الحياة في الإنسان ولولا بقاؤها في الجنين لمات وتعفن... فباستمرار الروح تتعدد الأشهر وباستمرار الروح يخرج إلى الحياة. وهنا البداية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1] وهنا معناها (قل الروح من أمر ربي) فلم يتملك فيها أحد... لا من الإنس ولا من الجن. بأمر ربي بداية ونهاية؟ وقالوا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[2] أي من سر ربي لم يعلم أحد عن حقيقتها شيئًا هل هي بيضاء أم سمراء أم صفراء؟

من أي ذرات الكون هي؟!! ومن أي مكان؟!! ومن أي جهه؟!

هو سر من أمر ربي أي بأمره فلم يتحكم أحد فيها، ولم يدعها لغيره حيث لا يعلم قيمتها "بأمر ربي" أي سر من أسرار ربي. وأسراره لا تنتهي ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[3]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[4].

أسرار أخرى...

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5] أي ما نفدت أسراره. إذن بأمره أي لم يدعها

(١) الإسراء:٨٥.
(٢)الإسراء:٨٥.
(٣) الكهف:١٠٩.
(٤) الكهف:١١٠.
(٥) لقمان:٢٧.

لغيره فكانت بقهره أي بأمره أي من سره وقالوا ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي بقدرة ربي.

وقال علماؤنا من أمر ربي يتجلى فيها صفات الله كلها وأسماء الله كلها من أمر ربي أي من قدرة ربي وإرادة ربي... وعلم ربي... وبصر ربي... وكلام ربي... وفي الأسماء من رحمة ربي... الرحمن... الرحيم الملك، من مُلْك ربي.

القدوس من قدسيته. السلام من سلامه. **وهكذا..** فالروح مجمع صفاته الجائزة في هذا المعنى.. ومن أسمائه المتحققة. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1] وهناك ما وراء ذلك لا تدر كونه فعلمكم محدود، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]. فيقول عقب هذه الآية: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

إذن الإنسان جسم وروح وهذا هو المنطق جسم فيه أجهزة... جهاز السمع والبصر والكلام والتذوق والشم وما وراء ذلك وروح تسير كل هذه الأجهزة ثم يظهر الله لك كيف يتحكم فيعطل بعض الأجهزة والروح فيك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[3].

مقدمة في التحكم هي فيك... فهل تستطيع أن تتحكم في هذه الأجهزة... فإذا نمت أيها الإنسان أخذ الله هذه الروح... وترك أثرًا في قلبك ينبض وأثرا في عقلك حتى يعي ما يكون في هذا الوقت من رؤية وأنت نائم، وإذا نودي عليك لا تسمع، يمرر أمام عينيك الأشياء فلا ترى شيئا، يؤتى بالطعام ويؤكل بجوارك وأنت نائم... الشم معطل يوضع على فمك وعلى لسانك قطعة من البسبوسة... وأنت لا تتذوق... فالأجهزة كلها معطلة.

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا

(١) الإسراء:٨٥.
(٢) يوسف:٧٦.
(٣) الروم:٢٣.

﴿الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] إذن إلى هذا الحد حيوان فقط جسم وروح مثلك كمثل الدودة أو النملة أو أي كائن كان في الأرض.

ثم هذه الروح فيك كإنسان تختلف عما هي في الحيوان فروحك كإنسان تحتاج إلى الله وذكره، كما يحتاج الجسم إلى غذاء، جسم بلا غذاء سرعان ما ينتهي، وكلما كانت التغذية قوية كانت البنية قوية فمن يأكل اللحم ليس كمن يأكل الطعمية فهذه لها أثر وهذه لها أثر.

التفاح أثره على الجسم أثر الخيار.. حقيقة هي مغذية، ولكن نسب التأثير مختلفة... ويعبر عنها علماء الطب بالفيتامينات، فكلما كانت أقوى كلما كان أثرها فعالا وعندما يتناقص هذا الأثر في الجسم كلما تناقصت هذه المادة فيصيبه الإعياء أول بأول حتى يصير ضعيفا.

فالجسم من سلالة من طين يحتاج إلى أنواع من التغذية، وهذه ظاهرة حقيقية لا يشك فيها اثنان وكذلك الروح... روح الإنسان أما الحمار فلا كلام فيه.. يولد حمارا ويموت حمارا.. ويحمل على ظهره حتى يضعف.. لا شيء غير ذلك.

فغذاء الروح كالإنسان في يد طبيب أمين. فكلما كان الطبيب حاذقا كلما تشرب الجسم من عمله ومن خبرته فصار الجسم عملاقا.

والروح كذلك لا يمكن أن يغذيها أو يربيها أي إنسان أو أي كائن.. فحيث هي سر فصاحب السر أولى أن يتولاها وأن يرعاها بنفسه، ولم يدعها في أيد خبيثة ماكرة وإنما هيأ لها ما ينشئها ويرقيها. فكما أن الجسم ينتقل من مكتب إلى مكتب ومن مصنع إلى مصنع ومن درجة إلى درجة... فكذلك الروح كلما

(١) الزمر:٤٢.

اعتنى بها ارتقت من شيء إلى شيء وهكذا... فالله سبحانه وتعالى اختار لها أول شيء حتى ينقلها من عالم الحيوان وعالم الجماد إلى عالم خاص، فنقلها إلى أن تعرف أعظم شيء، فاختار روح الإنسان لتعرف الحق تبارك وتعالى، فنالت هذه الروح اختيار الله لها. فجَمْعُ الروح والجسم هو ميزان واحد وهو ميزان العقل.

فحكم الله العقل على الجسم والروح وبيّن له أن الروح مسئولة منك فعرِّفها إياي وأن الجسم مسئول منك فراعه، وأنا وضعت فيك أيها العقل كل المعرفة. هل رأيت في القرآن غير ذلك؟

متاع الجسم.. ومتاع الحياة ومتاع الروح متاع الجسم كجسم.. هو متاع العين ومتاع السمع ومتاع الكلام ومتاع الشم ومتاع الغرائز فيقول الله سبحانه وتعالى ليحقق رغبات الإنسان كإنسان هذا لك: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**﴾[(1)].

والأنعام والحرث: وهنا ولا ثالث، إما حيوان يؤكل وإما نبات يؤكل، فجَمَعَ الله كل هذا في هاتين الكلمتين والأنعام والحرث. ﴿**ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[(2)].

وعندما أراد أن يفسر ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا۞ مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾[(3)] وما سخر الله للإنسان في كل هذه

(١) آل عمران:١٤.
(٢) آل عمران:١٤.
(٣) عبس:٢٤-٣٢.

الأشياء وفي غيرها في آية واحدة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1] ثم زين لك السماء.. زينها لك أنت لتمتع عينك.

﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[2] وهل ينظر غيرك، إن المَلَك لا يحتاج إلى نور، فزين السماء من أجل عينيك وجاء بسورة الزخرف ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[3] فزخرف الحياة.. في كل ما يُنقَش في حياتك من حائط أو كرسي أو بيت أو سيارة أو سجاده أو قلم... أي شيء تحب أن تراه جميلا فأعطاك إباحة الجمال﴿وَزُخْرُفًا﴾ ديكور الحياة وهكذا... هذا ما يريده الجسم ثم نقلك إلى ما تريده الروح، الروح لا تسكن إلا إلى خالقها كما يسكن الطفل الرضيع إلى أمه ومهما قدم له سواها فهو يجزع منه وإنما يأوي إلى أمه، في هذه السن الروح لا تأمن إلا إلى من أنشأها هو أعلم بها وبغذائها وما يفيدها فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4]. ثم يقول ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[5]، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[6]، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[7]، والأنبياء تدعو إلى ذلك من أول البشر إلى المصطفى ﷺ، ويدعو الناس إلى هذه الحقيقة إلى أمان الروح... ولا تأمن هذه الروح إلا بالإيمان بالله تعالى. فإذا غُذِّي الجسم بشتى أنواع الحياة وليس فيه هذا الغذاء الفعال فإنه يسارع إلى الانتحار. وكثير من إحصاءات الانتحار تكون لأبسط الأمور.

مارلين مونرو في هوليود انتحرت بكمية ضخمة من الألسبرو؛ لأن عضلة

---

(١) الجاثية:١٣.
(٢) الحجر:١٦.
(٣) الزخرف:٣٥.
(٤) الأنبياء:٢٥.
(٥) النحل:٢.
(٦) البقرة:٤١.
(٧) المؤمنون:٥٢.

من عضلات بطنها اضطربت فخافت من العلاج أن تكـون مشـوها، وأن تفقـد عرش الجمال في هذا العالم ففضلت الانتحـار، إذن هـذا جسـم خـاو... وروح ليست موجودة... فهو جسم بلا حياة أي شيء يدفع مثل هذا الإنسان التافه أن يفعل أي شيء.

وكذلك نسب الانتحار في الاتحاد السوفيتي وإن كانوا يخفـون علـى النـاس، لكن هذه حقائق.. فهم قوم ملحدون.

يقول الحلق جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ﴾[1] وهكذا فالإيمان هو الأساس، هو غذاء هذه الروح، وتستطيع أنت أن تقوي هذه الروح بالعمل بعد أن آمنت وصدقت. فالإيمان هو الأساس، مادة الحياة الروح، فالجسم حياته الروح... الروح حياتها الإيمان... والإيمان حياته العلـم، والعمـل حياته الإخلاص.

كلمات يسيرة ولخصها القرآن في يسير من الأمر يقول الله سبحانه وتعـالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[2] ثم بَيّنَ أهل الإيمان: **﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِـعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُـرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَـى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّـذِينَ يَرِثُـونَ الْفِـرْدَوْسَ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُونَ﴾**[3].

-أولئك هم الوارثون من الله غذاء الروح، فَحَيَتْ أرواحهم في الدنيا بهـذا

(١) فصلت:٤٠.
(٢) المؤمنون:١.
(٣) المؤمنون:٢-١١.

الميراث، ثم ورثوا النعيم المقيم يوم القيامة. فهذان ميراثان... ورثوا من الله سر حياة الروح، ثم كان الجزاء أن يورثهم الله سر متاع هذا الجسم الذي خدم هذه الروح وسخرها: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وبعد...

الإيمان غذاء الروح، فجسم بلا روح لا حياة له. روح بلا إيمان لا حياة لها، إيمان بلا عمل سرعان ما يصدأ. ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[1]، ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2].

هذا الإيمان هو روح العمل، وروح الإيمان الإخلاص، فالذي هو روح العمل هو روح الإيمان: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]، ﴿أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4] ثم يذكر الرسول ﷺ حقيقة القرآن فيما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[5] وبقي شيء هو الختام.. إن الأرواح لتثقل فتكون فيها الشفافيه، فكلما انتشل الإنسان نفسه من ترابية الشهوات ورقي إلى علوية الروح وإلى سمو الصفاء وإلى لقاء الحبيب، هان عليه كل شيء سوى ذلك.

---

(١) المدثر:٣١.
(٢) المجادلة:١١.
(٣) الزمر:١١-١٣.
(٤) البينة:٥.
(٥) الأنعام:١٦١-١٦٣.

فمن أصحاب الأرواح العالية...

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] ومن أصحاب الأرواح العالية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3] من أصحاب الأرواح العالية: ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[4] من عظمة الروح؛ أصبحت الروح سيدة العين فجعلتها تنظر بنور الله. وسيدة السمع فسمع السمع بنور الله.

وسيدة اللسان فنطق بذكر الله. وسيدة الرِّجْل فسعت إلى ما يرضي الله. وسيدة اليد فأصابت ما يحبه الله. وسيدة الجسم.. هي السيدة وهي المهيمنة؛ لأنها العالية وأبت إلا أن تكون كذلك ولم تُدْنِ نفسها في هذه الحياة بل وضعت نفسها في مكانتها التي وضعها الله لها.

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ*الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[5]. ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6].

وفي خاتمة الأمر:

إذا أصيب صاحب الروح العالية بفقد أي شيء فالقيمة هي قيمة الإيمان

(١) السجدة:١٦.
(٢) الأنفال:٢.
(٣) الأنفال:٢.
(٤) الزمر:٢٣.
(٥) آل عمران:١٦،١٧.
(٦) آل عمران:١٨.

وكل ما سواه فإلى زوال والحقيقة هي:

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾[1].

وما عندكم ينفد وما عند الله باق. فأراد هذا الإنسان أن يبقي روحه بما فيها من إيمان وما فيها من يقين وما فيها من نور وما فيها من أسرار وصفاء تجلي الحق تبارك وتعالى فمهما أصيب الإنسان، فالله هو الله؛ لأن الروح ذاقت حلاوة المعرفة.

ولنبلوكم بشيء من الخوف (إيه يعني).

والجوع (إيه يعني).

ونقص من الأموال (وإيه يعني).

والأنفس (وإيه يعني).

والثمرات (وإيه يعني).

نحن صابرون على حقيقة واحدة أن تبقى أرواحنا نورك وحقيقة معرفتك.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ*أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

وخاتمة الأمر:

أن سيدنا أيوب عليه السلام عندما ابتلي فلم يجزع وكان يسبح في صومعته.

أولادك قتلوا.. العيالُ عيالُ الله، إن شاء أبقاهم وإن شاء أخذهم.

(١) النحل:٩٦.

(٢) البقرة:١٥٥-١٥٧.

أرضك.. هي أرض الله.

مالك.. المال مال الله.

دارك.. المُلْك مُلْكه يفعل ما يشاء.

ثم يقول: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1] ولم يقطع تسبيحه؛ لأنه في حلاوة الروح ثم لما سرى المرض وقرب من القلب واللسان والعقل.. خاف على غذاء الروح...

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ*فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾[2] قال: يا ربي افعل من جسمي ما شئت واترك لي قلبًا يحبك... ولسانا يذكرك... وعقلاً يفكر فيك ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[3] حتى في المرض؟ نعم حتى في المرض.

هذه الخاتمة.. أما مسك الختام في النعيم يوم القيامة غذاء الجسم في الحور العين ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[4] وأشياء أخرى مثل ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[5].

ثم قال: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[6] فبعد النعيم مغفرة.. نعم يرقيهم من عالم الجسم إلى عالم الروح الجسم ذاق النعيم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ

(١) الأنبياء:٢٣.
(٢) الأنبياء:٨٣،٨٤.
(٣) ص:٤٤.
(٤) الواقعة:٣٧.
(٥) محمد:١٥.
(٦) محمد:١٥.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[1].

يقول الجسم لقد ذقت النعيم ذوقا وشمًّا ونظرًا ولمسًا وطعامًا وشرابًا، والروح تقول يا ربي لقد خلقتني ألا تنعمني ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[2]..

-والزيادة من أجل الروح.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] فيتجلى الله على أهل الإيمان في الجنة فيقول (هل رضيتم؟).

فيقولون: (وكيف لا نرضى وقد نجيتنا من عذابك وأدخلتنا جنتك)

فيقول: عندي مزيد.

فيقولون: وما هو يا رب العالمين؟

فيقول: (يحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم أبدًا).

ثم يقول بعد ذلك.

(هل رضيتم؟).

فيقولون يا ربنا وكيف لا نرضى وقد نجيتنا من عذابك وأدخلتنا جنتك وأحللت علينا رضوانك).

فيقول عندي مزيد.

وهنا يتجلى... وبالتجلي تنكشف الحجب حجابًا حجابًا...

(١) فصلت:٣١.
(٢) يونس:٢٦.
(٣) القيامة:٢٢،٢٣.

حتى تخرق جميعها وحتى تذوب فلا تكون واسطة بين المؤمنين وبين ربهم وهنا يرون الحق كما يرون القمر في ليلة البدر.

فتتمتع الأرواح بهذا اللقاء.. بيقين اليقين.. وعين اليقين وحب اليقين.. ويقين الحب ثم تذوق الأرواح بقدر ما فيها.

وقال أهل الحق: عندئذ انتهى الجسم من متاعبه وهيمنت الروح. فقالوا: لو هناك واحد من هؤلاء المؤمنين أرجعه الله إلى الجنة لاستغاث من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار.

ويقول إمامنا الشافعي -رضي الله عنه- لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه سيرى ربه يوم القيامة ما عبده طرفة عين...

وتقول السيدة رابعة العدوية -رضي الله عنها-: «إني أحبك حبا لذاتك لاطمعا في جنتك ولا خوفا من نارك، فلو كنت تعلم أني أحبك طمعا في جنتك فاحرمني منها، وإن كنت تعلم أني أحبك خوفًا من نارك فاحرقني بها، إني أعبدك طمعا في ذاتك وفي رؤياك يا رب العالمين».

هذه هي الروح سر أسرار الله في الكون كله وفي الإنسان. فحياة الإنسان هي روحه وحياته الروح هو الإيمان وحياة الإيمان هو العمل...وحياة العمل هو الإخلاص.

﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

والله أعلم

۞۞۞

(١) سورة العصر.

الخطبة السابعة

الإسراء والمعراج
تتويج لصبر النبي ﷺ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد..

سيدي يا رسول الله لقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده.

في ذكرى تكريم الله لك نذكر جهدك وجهادك وصبرك ومثابرتك وعزمك وشجاعتك وحلمك وقوتك وعفوك وجرأتك، نذكرك بكل المعاني والصفات العظيمة. أنت محيط لا ساحل له، فسبحان من اختارك وسبحان من أعطاك، وسبحان من وهبك هذا الخلق.

سيدي يا رسول الله في هذا الوقت يجب أن نذكرك وأن نذكرك بحق؛ لأن الغفلة عنك وعن التأسي والاقتداء بك أوصلنا إلى ما نحن فيه الآن. فكان البعد عظيما بيننا وبينك، والشقة هاوية منحدرة فانحدر بنا الزمن، وأصبحنا ننظر إلى أنفسنا بين الماضي والحاضر فشتان ما بينهما. ولكن ذكرك رحمة؛ لأنك رحمة، وذكرك جهاد لأنك إمام المجاهدين.

في هذا الوقت الذي تألب الناس على دينك بالقول والفعل، وأصبحت الحرب حربين. حربًا على الإسلام. وحربًا من أهل الإسلام على بعضهم. سيدي يا رسول الله إن الله مكنك في ذاتك. ومكن قلبك وثبتك ومَنّ على عقلك فكنت راسخًا رسوخ الجبال العاتيات لا يستطيع أحد أن يقرب منك. إنك القوة المنيعة التي ضعف الناس أمامها وهزموا وانحدروا وانصرفوا، فأنت صاحب لواء الرفعة في حياتك، وأنت صاحب لواء الحمد يوم القيامة.

*** أيها المسلمون ***

إن الإسراء والمعراج كان تتويجًا لصبره وجهاده وإقدامه لنصرة هذا الدين، كان الإسراء والمعراج علمًا وبيانًا للأمة- هكذا يرفع شأن النبي ﷺ وهكذا تكون الخاتمة في أجمل صورها وأبهاها حمدًا من الله من فعل نبيه، وكان الله تعالى يقول له إذا عاداك أهل الأرض جميعا فأنت عبدي ورسولي، وإذا أغلقت صدورهم فأبوابي كلها مفتحة في الأرض والسماء، لا يغلق دونك شيء يا محمد، وكل ذلك لك؛ لأنك تستحق ولأنك أهل ذلك.

*** أيها المسلمون ***

في هذا الوقت الذي ضعفت فيه الأمة وخارت قواها وتألب الناس عليها نذكر سيدنا ومولانا محمد ﷺ في البداية. فالبداية بداية لكل خير ولكل نصر ولكل عزة ولكل كرامة إلى الأبد. في الأيام الأولى عند الكعبة وفيها كان الإسراء، هي موطن امتحان موطن تكريم موطن قضاء موطن عطاء من نفس المكان وحول البيت تدور حوادث الامتحان ويعلو الصبر علوًا عظيمًا حتى بلغ عنان السماء والله يباهي به ملائكته عبدًا صابرًا متحملاً لنشر هذا الذين ثم صعد لهذا العلا كما صعد صبره من قبل.

*** أيها المسلمون ***

يأتي عقبة بن أبي معيط إلى رسول ﷺ، وهو ساجد عند البيت، ويلقي على ظهره، على ظهره الشريف قذر الإبل، وظهره الشريف هو الذي وضع الله تعالى بين كتفيه خاتم النبوة المكتوب فيه (الله محمد رسول الله. توجه حيث شئت فإنك منصور) وثوبه يغطيه وقد كتب الله ذلك بالشعر بقلم القدرة.

خاتم النبوة وضع عليه ذلك.. هيهات أن تنتهي النبوة أو أن يقضى على الرسالة. إنها أوهام وخيالات تصعد إلى السماء صعود الدخان وسرعان ما يتبدد.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[1]

فمن ذا الذي يستطيع أن يتعرض لسجوده ﷺ؟ وهو الذي قلبه مع الله دائما في حال خشوع وخضوع وفي حال مشاهدة لأنوار الحق. من عقبة بن أبي معيط أو أبو جهل؟ من غيره؟ فعلوا ذلك وتضاحكوا ومالوا بعضهم على بعض من الضحك! جاءت السيدة فاطمة الزهراء رضي لله عنها وكان صغيرة ذات خمس سنوات - فدفعت ذلك عنه وقال ﷺ: «اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد» وكل هؤلاء قتلوا في بدر. ورموا في مقبرة الكاذبين وفي نفس المكان وحول البيت يصعد على الصفا... إذا كان الله مع المؤمن فمن هو الذي يستطيع أن يكون عليه؟!!

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى*أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أو أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ۞ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا

(١) الرعد(١٧).

بالنَّاصيَة ۝ نَاصيَة كَاذبَة خَاطئَة ۝ فَلْيَدْعُ نَاديَهُ ۝ سَنَدْعُو الزَّبَانيَــةَ ۝ كَــلاَّ لاَ تُطعْــهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَربْ﴾[1]

إن نواصي الكذب لا تهدم الإسلام لفساد عقيدتها وخراب تفكيرها. ومن ينال هذا الدين إذا كانت العقول مع الله؟! ولو اجتمع أهل الأرض جميعا فهي نواص كاذبة، نواص خاطئة، نواص لا وزن لها ولا قيمة ولا قدر لها عند الله. ﴿كَلاَّ لاَ تُطعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَربْ﴾[2]

اسجد لي دومًا واقترب لي دومًا فأنا قريب ولست بعيدًا يا محمد. فكن على هذا الدين واثبت عليه. وكل ذلك سيتغير فكن على الحق يكن الحق معك.

*** أيها المسلمون ***

وعند البيت أيضًا وهو موضع التكريم وموضع الاحتمال والصبر والأذى، أوذي في هذا المكان وأسري به من هذا المكان وأعطي من هـذا المكـان وفـتح له من هذا المكان. مكان واحد تتبدل فيه الأحوال والقـدر والقضـاء كـل ذلـك بأمر الله تعالى.

في هذا البيت يصعد على الصفا – وقـد أمـره الله تعـالى أن يواجـه النـاس وحده. فواجه الناس وليس معه أحد فقال: «يا أيها الناس يا بنى هاشـم يـا بـني عبد المطلب يا بني لؤي يا بني كعب يا بنـى قـريش هلمـوا إلى» فـاجتمع النـاس حوله فقال: «أيها الناس أرأيتكم لو أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي»؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا يا محمد.. قال: «فإني نذير لكم بين يـدي عذاب شديد، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة».

(١) العلق من (٩: ١٩).
(٢) العلق (١٩).

فبادر أبو لهب فقال: يا محمد ألهذا جمعتنا؟! تبًا لك (أي قطيعة وهلاكًا) فنزلت سورة المسد. هذا اختبار غريب.. عمه أول من يعاديه، والله يقصد ذلك حتى لا يقال في العالم فيما بعد إن أهل محمد قد ابتدعوا نبوة فيما بينهم. عاداه عمه وعاداه أهله.

ونزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1]

وامرأته لها شأن آخر- فكان ﷺ واقفًا ومعه أبو بكر رضي الله عنه. فجاءت العوراء أم جميل التي كناها بأم قبيح، جاءت بأحجار في يدها حتى وصلت إلى الكعبة فرأت أبًا بكر واقفًا وحده فقالت أين صاحبك والله لو وجدته لرميته في فيه بهذه الأحجار. وقالت: (مذممًا عصينا- وأمره أبينا ودينه قلينا- إنه يهجوني وأنا أهجوه. أين صاحبك؟ ثم انصرفت.

فلما انصرفت قال سيدنا أبو بكر لسيدنا رسول الله ﷺ يا رسول الله.. أما رأتك؟ فقال: يا أبا بكر، إن الله أخذ بصرها عني فلم تر وهكذا نجد المعاناة ونجد الشدة فكلما اشتد الأمر اشتد الإسلام وعظم وكبر وانتهى إلى الغايات الكاملات. صلوات الله وسلامه عليه أوذي بالقول وأوذي بالفعل. كان واقفًا عند الكعبة وهو موطن الابتلاء وهي بداية الإسراء والمعراج فجاء الأخنث بن أبي أمية بن خلف، وقد مات سيدنا إبراهيم وهو ولد المصطفى ﷺ فنظر إليه وقال: يا عديم الولد.

فحزن ﷺ وتأثر قلبه فأنزل الله عليه في الحال ليبين شأنه، إن الرجل قال: يا عديم الولد، يا أبتر، يا أقطع، يا من لا ذرية له. فواساه تبارك وتعالى أنه هو الأبتر، أما أنت فلا أُذكَر إلا وتُذكر معي، ولا أقبل توحيدًا إلا بك، فأنت

(١) المسد ١: ٥.

صاحب القرآن وصاحب الكوثر وصاحب اللواء وصاحب الشفاعة وصاحب الوسيلة والفضيلة وصاحب الدرجة الرفيعة، أنت عبدي وأنت رسولي، ومن عيرك هو الأبتر وأنت الأبقى بهذا الذكر.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[1].

فصل لربك وانحر. لو كنت أبتر لقُطِع أثرك من قبلُ عندما فديت إسماعيل بكبش من الجنة وكنت في صلبه، فلا بد وأن تبقى ففديتك في صلب إسماعيل. وفديتك في صلب عبد الله أبيك.

هو الأبتر وأنت الأبقى يا محمد في الدنيا والآخرة.

أوذي بالفعل والقول والهمز واللمز. يمر ﷺ فيتغامزون عليه باللمز وبالسخرية بأعينهم وبألسنتهم، يقولون:

انظروا إلى ابن أبي كبشة يُكلم في السماء. (أبو كبشة: زوج السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها).

فنزلت السورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[2].

قالوا فيه أنه دعيّ ينسب نفسه إلى دين، وقالوا مُعَلَّم مجنون يدعي النبوة وبه جِنَّة وهو شاعر وساحر. فتنزل الآيات لتكشف من هو الذميم الدعيّ الذي يفضح الله أمره فاتضح أنه دعي لا أب له وهو ابن زنا: ﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [3]

(١) الكوثر :(١- ٣).
(٢) سورة الهمزة.
(٣) القلم(١٠: ١٣).

أما الوليد بن المغيرة فقال عنه القرآن: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآَيَاتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[1].

*** أيها المسلمون ***

ادّعى المشركون الافتراء على القرآن الكريم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [2]

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [3]

كل ذلك حول إنسان واحد بين الليل والنهار، تتوالى الأحداث من حدث إلى حدث إليه فيقول: «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. أنت رب المستضعفين وأنت ربي. ثم يقول: إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي**».

وأُوصدت الأبواب دونه ومع ذلك لم ييأس ولم تقف الدعوة ولم تنته، إنها دين، ودين الله باق: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [4].

*** أيها المسلمون ***

نذكر أمرا عندما أعلى الله أمره. نذكره بين الاختبار والعلو ﴿وَاصْبِرْ وَمَا

(١) المدثر: (١١: ١٧).
(٢) هود: (٣٥).
(٣) الفرقان: ٥.
(٤) الصف: ٨،٩.

صَبْرُكَ إلاَّ بِاللهِ﴾ [١] ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾ [٢].

(واصبر على ما يمكرون).كل ذلك – فعاقبة الصبر على الدين هو النصر الذي لا يقف العالم أمامه. نذكره ﷺ ذكر المعتبرين وذكر المنتبهين وذكر الذين وصل بهم الحال إلى هذا الحال حتى نعود إلى النبي ﷺ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [٣].

«عباد الله أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعا أو كما قال «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

۞۞۞

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد..

فإسراء الرسول (الشريف) هو آية من آيات الله، وكذلك المعراج، خَرَق الله بذلك النواميس فهذه طبيعة الكون خلقها الله. خلقها بقدرته ويغيرها بقدرته ويبقيها بقدرته ويفنيها بقدرته: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٤].

فكان الإسراء من بداية المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حيث جمع الله

(١) النحل: ١٢٧.
(٢) المعارج:٥.
(٣) الأحزاب:٢١.
(٤) الإسراء:١.

جميع الأنبياء وصلوا خلفه وكان لهم إماما. أما نحن فأولى بنا أن نقتدي بهذا العمل العظيم؟

انظروا إلى ما حدث في أرض الإسلام في فرض نظام الحكم في أماكن كثيرة نسوا الإسراء والمعراج ويحتفلون به ويرددون الكلمات كالببغاوات. إن ما يحدث في أفغانستان لهو محزن ومؤسف وما يحدث في كشمير وما يحدث في الصومال صراعات عجيبة.

وما يحدث عند المسجد الأقصى وما يفعله أعداء الإسلام حتى يُهَوّدوا القدس وحتى ينتهي المسجد إلى هيكل سليمان.

كل ذلك والمسلمون غافلون في أعياد الميلاد فسقًا وفجورًا وخمرًا وجرأة على الله أو نيلا من غضبه. أغابت عقول الأمة؟! إنها ذكرى ولا يكون معراج بغير إسراء.

وفي الإسراء آيات: في تارك لصلاة، وتارك الزكاة، والزاني، والعالِم الذي لا يعمل بعلمه، والحاكم الذي لا يعدل. كل ذلك في الإسراء هي آيات من آيات الله. فإذا صفت الأمة من فسقها وضلاها وفجورها وشناعة أخلاقها كان المعراج. هل يصعد أحد بلا أسباب؟.

إن الطائرة تصعد بالإنسان ولكن هل يطير؟ لا يطير. فأسباب المعراج أن تكون أمة الإسلام على شريعته وحلاله وحرامه حتى يكون المعراج.

والغاية من الإسلام هي الله، نصلى لله، نصوم لله، ونحج لله، نزكى لله، نترك الخمر من أجل طاعة الله، ونترك الزنا من أجل مرضات الله. كله لله والغاية هي الله.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا

كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1].

*** أيها المسلمون ***

أنتم بين قضيتين عظيمتين. قضية المعراج.. قضية الصعود العلو الرقي ولا يكون إلا بأحداث الإسراء من السجود والخشوع والخضوع والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى عملاً بشرائعه العظيمة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [2]

اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم أنا نسألك علمًا نافعًا وقلبًا خاشعًا ونورًا ساطعًا ورزقًا واسعًا وشفاءً من كل داء ونسألك الغنى عن الناس.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا ارحم الراحمين وانصر إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها.

عباد الله، **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[3] اذكروا الله.

۞۞۞

(١) النجم:(٨- ١١).
(٢) آل عمران: (١٤٧).
(٣) النحل:٩٠.

الخطبة الثامنة

السجود وشأنه في الإسراء والمعراج

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد..

هذه ليلة عظيمة كُرِّم فيها صاحب الوجه العظيم- كُرِّم وشُرِّف.

وقُرِّب -سَعَى وأُعْطِيَ- تَواضَع ورُفِع- سَجَدَ وسَأَلَ فأجيب ودعي للسجود، حيث أمره الله للسجود. فهي ليلة السجود – ليلة القرب.

فالسجود ذل لله وعزّة به- السجود قرب وشهود وكشف حجب وعلو، وغاية الأمر أن يسجد الخلق وأن يخضعوا لجنابه وأن يتذللوا لعظمته.

كلٌّ يسجد طوعا وكرها- فالكل تحت إمرته وقهره وجبروته- وكلٌّ ينال رحمته.

*** أيها المسلمون ***

إذا كنا لا نفهم معنى السجود فهذه ليلة نذوق فيها كل معانيه حتى نفهم، وحتى نسأل أنفسنا: لم لا نكثر السجود؟

لم لا نتقرب به؟ لم الكبر؟ ولم البعد؟

السجود قضية البداية والنهاية حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وفي الآخرة يسجد خلقه حيث بدل الله السموات والأرض. فالسجود أمر لا ينقطع وسنة لا تنتهي ما دام الحق تبارك وتعالى حيث يخلق الأشياء، فكل الأشياء ساجدة رضيت أم كرهت.

في أول دنيا الإنسان يأتي شأن السجود وهي بداية عجيبة ودرس بليغ وحقيقة لا تنكر في أثرها وفي علمها ولا يجحدها إلا الغافلون.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾**(1).

سجد الملائكة كلهم فقربهم السجود. سجدوا لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام سجدوا تعظيما لله لما خلق وأبدع، ولكن إبليس فسق لم يسجد حتى نحذر ولا نكون كإبليس عندما لم يكن من الساجدين: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾**(2) فعدم السجود فسق. ولكن البشر كما هم؟ وفي أي بقعة تحيط بهم ويعيشون عليها؟

إن الإنسان ككائن لا يمثل إلا ذرة في هذا الكون العريق إذا لم يسجد الإنسان فالله تعالى لا ينقصه شيء. فسجود العبد هو الذي يُكرَّم به ويعود عليه.

يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**

---

(1) الحجرات: (٢٨- ٣٥).
(2) الكهف: (٥٠).

وظلالُهم بالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[1].

ويقول جل وعلا: ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2].

ويقول عز من قائل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[3] هذا هو السجود، كل الكون يسجد- وتشرَّب النبي ﷺ هذا المعنى فأصبح عقله وقلبه وغايته أن يكون ساجدًا لربه لا يفتر عن ذلك.

فهو إمام الساجدين ﷺ إمام الراكعين. إمام المصلين إمام المقربين ﷺ وهكذا يبين الله سبحانه وتعالى تاريخ السجود في نسبه الشريف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾[4].

ثم يقول جل وعلا: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[5].

من آبائه وأجداده يأتي النسب الشريف من أصلاب الساجدين إلى أرحام الساجدات، إلى أصلاب الساجدين إلى أرحام الساجدات، إلى أن ولدته أمه صلوات الله وسلامه عليه. وهي السيدة آمنة رضي الله عنها وأرضاها.

ويظل السجود سنته لا يتغير عنه. يصلي ويسجد ويصلي ليسجد فيقدم للسجود من قيام وركوع حتى يكون ساجدا لله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ۞ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أو كَفُورًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ

(١) الرعد: (١٥).
(٢) النحل: (٤٩- ٥٠).
(٣) الحج: (١٨).
(٤) الفرقان: (٥٨).
(٥) الشعراء: (٢١٩).

رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[1].

وعندما يضيق به الأمر يدعوه للسجود. ربه يدعوه ليسجد له حتى يفرج عنه. فلا تفريج لكرب إلا بكثرة السجود: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2].

فالسجود المستمر تتفتق له الحجب - وتنكشف به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم.

كن من الساجدين، كن من الساجدين، لا تبتعد عنى، أحبك أن تسجد لي فمقام القرب أن تسجد دائما وأن أراك ساجدًا هذا ما أحبه فيك، وأنت ما تحبه فيّ. فالتقى العبد بربه في أعظم مقام، وهو مقام السجود.

*** أيها المسلمون ***

إن الأمة عندما وصفت في الكتب السابقة وصفت بهيئة السجود. هي أمة ساجدة. لا تتغير ولا تغيرها الدنيا عن الخضوع لله والسجود له.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾ [3].

- أمة يرى أثر السجود ذلك في وجهها تدخل مسجدها لتلاقي ربها، فإذا خرجت عرفت الدنيا قدر الساجدين الذين لا يحيدون عن سجودهم والذين لا ينصرفون عن ربهم.

---

(١) الإنسان: (٢٢- ٢٥).
(٢) الحجر: (٩٧- ٩٩).
(٣) الفتح: (٢٩).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[1].

هكذا نرى نبينا ﷺ ونرى الأمة الشريفة ساجدة.

وبعد...

عندما أراد الله تعالى أن يكرم نبيه بدا التكريم من موضع سجود جبهته الشريفة، عندما كان يسجد عند الكعبة، والأذى من حوله وهو يدعو ربه.. ثم يأتي أبو جهل فيطأ رقبته حتى ينهاه عن السجود.

وهنا بداية الدعوة، لا يُصْرف عن السجود قط ولو اجتمعت الدنيا كلها. سجدة واحدة ذاق فيها العزة، ويزداد كلما سجد ويظهر الله العزة بين ناصية متكبرة ناصية خاطئة ناصية مذنبة ناصية كافرة ناصية عاصية، وبين ناصية شريفة عزيزة عظيمة. فرق بين الناصيتين بين ناصية سامية، وناصية منحطة، وبين ناصية فيها الضلال وناصية فيها الهدى.

لا ترقى إلا الناصية والرأس التي خضعت لجنابه وذلت لعظمته وتقربت إليه. فيأتي الله بالفرق بين ناحيتين عند هذا المكان الذي كان منه الإسراء.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ۝ أو أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ۝ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[2] (كلا أي لا عبرة لكفره ولا ناصيته ولا بما صنع)

- من موطن السجود ومن بعد السجود بدأ الإسراء.

---

(١) الفرقان: (٦٣- ٦٤).

(٢) العلق: (٩: ١٩).

- من مسجده وموطن سجوده في الحرم عند الكعبة.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1)

وانتهى إلى المسجد الأقصى، من مسجد إلى مسجد. فجمع الله جميع الأنبياء والمرسلين فصلى بهم إمامًا وتقرب وسجد. من موطن سجود الحرم كان الإسراء. من موطن سجود المسجد الأقصى كان المعراج. فالتشريفات والتعظيمات كانت من موضع سجوده.

ثم أوتي بالبراق فصعد ﷺ حتى بلغ سدرة المنتهى ثم غشيته سحابة فسجد قال: رأيت نورًا وأنى أراه. وأنى أرى ربى رآه بلا حد ولا كيف ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾(2).

هكذا يكون التكريم وعند السجود وقد أحاطته الأنوار. وتجلى الله عليه والتقى الخالق بالمخلوق والرب بعبده. فكان هديته في الليلة هي هدية السجود.

ففرض عليه الصلاة، وخففها إلى خمس صلوات في اليوم والليلة كما تعلمون رجع بها، رجع بها إلى الدنيا وإلى العالم وإلى أمته. هي هدية السجود في ليلة السجود من موطن السجود لتكريم الساجد ﷺ.

هكذا نرجع إلى معنى السجود وقد فرطنا فيه. وكم بعدنا عنه؛ لأننا نسجد سجود الآلات. لا نسجد سجود المقربين المحبين.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في رواية الإمام مسلم رضي الله عنه.

(1) الإسراء: (1).
(2) النجم: (8- 12).

افتقدت النبي ﷺ فتحسست فوقعت يدي على باطن قدميه وهما منصوبتان وهو ساجد في المسجد يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك اللهم، إني أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» [رواه مسلم].

ويروي الإمام مسلم رضي الله عنه قوله ﷺ في سجوده: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**» [رواه مسلم].

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها: كان يسجد ويطيل ويبكي حتى أرى بلّ الحصير.

لِمَ يسجد؟ ولم يبكي؟

سئل في ذلك: لقد خفف الله عنك هَوِّن عليك، نفسك يا رسول الله فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «**هذا حق. ولكن أفلا أكون عبدًا شكورًا**» [رواه البخاري].

*** أيها المسلمون ***

إنها ليلة تذكرون ربكم فيها، وتذكرون نبيكم الساجد الذي كان يسجد ويتقرب ويسأل ويعطي ﷺ. سلوا الله من فضله فإن أقرب العبادة انتظار الفرج.

اللهم اجعلنا من الساجدين. واجعلنا من الراكعين واجعلنا من المقربين ومن المؤمنين. عباد الله أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم جميعًا ولنتب إلى الله جميعًا أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

✿✿✿

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده

ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد..

يقول أسعد الخلق ﷺ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا رَبَّكُمْ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**» [رواه الدارمي].

يقول أسعد الخلق ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[رواه مسلم].

ومن جمال القرآن ما ذكر فيه من أسماء السور فجاءت سورة كاملة وسميت سورة السجدة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه وقال غيره: هي السورة المنجية فما قرأها مؤمن إلا ونجاه الله تعالى. سورة السجدة سميت بها لأن الله يحبها ويحب عبده الذي يتقرب بها. وليست السجدة أن يسجد الإنسان دون صلاة، الصلاة فيها السجود وفيها الركوع. الصلاة فيها ذكر لما مَنّ الله به على النبي ﷺ وفضل لما حباه به. ونحن في ليلة الإسراء والمعراج نذكر قصة ما حدث فيها ولكن يجب أن نذكر أنفسنا. هل نسجد لله في الوقت الذي أمرنا أن نسجد فيه؟

في الصلوات الخمس؟ أم أننا نسجد على هوانا أو نفعل على أمزجتنا. فهذا شيء جعل الناس في بعد. فمن كان قريبًا من الملك فيسأل في كل وقت؛ لأنه في حضرته. ومن كان بعيدًا عنه فالعوائق والحجب لا يستطيع بها أن يصل إلى مطلوبه.

أمة تركت سجودها وبعدت عن لذة قربها لله. وهذا ما حدث فينا فيجب أن نرجع للسجود وأن نسجد بمعنى.

واعلم أن الله تعالى يسمعك وهو أقرب إليك من حبل الوريد فأدرك أنك

في حضرته. ومن كان في حضرة الله تعالى فهو في نوره، ومن كان في نوره فهو في حصنه، ومن كان في حصنه فهو في أمنه وأمانه. إن الخراب الذي نعاني منه أصابنا لأننا لم نأمن بالسجود. وخير الله يأتي بلا حساب للساجدين ولكننا حسبنا حسابات الدنيا دون سجود فعقَّد الله لنا الأمور. وأصبحت بلاء يحيط بنا في كل يوم. ولو رجع الناس إلى سجودهم اقتداء بنبيهم الذي سجد وحده عند الكعبة فخرق الله له النواميس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات السبع.

كيف تحسب هذا بالكمِّ والعدد والكيف؟ فهذا أمر لا يحسب وعطاء لا يقدر.

وبدأ بالسجود- اسجد تُعطَ.

وفي آخر الأمر في الشفاعة الكبرى اجتمع الناس وسألوا الأنبياء وأجمعوا على حضرته ﷺ.

فسجد بين يدي الله.

فقال: «**سل تعطَ، واشفع تشفع**» [رواه البخاري]. فكانت الشفاعة. كلُّ عطاء الدنيا بالسجود.كلُّ عطاء الآخرة بالسجود، لا غير السجود. فكن ساجدا، كن خاضعا. لم التكبر؟ ولم البعد؟ولم الحيرة؟حار الناس. والله قريب وليس ببعيد لجئوا إلى أساطير وخرافات وإلى قوى لا أصل لها، والله قريب.

لِمَ تسأل البعيد وهو القريب، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد. فلا تذلوا أنفسكم لغيره حتى لا يصيبكم الوهن والعجز.

السجدة عزة وبركة وكرامة وشرف.

الخضوع لغير الله ذل ومهانة وفقر وربا وشتات وهزيمة.

*** أيها المسلمون ***

هي ليلة السجدة وليلة العطاء إسراءً ومعراجًا وصلاة إلى يوم الدين وشفاعة إلى يوم القيامة.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم أرنا الحق حقًّا فنتبعه، وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه برحمتك يا أرحم الراحمين انصر إخواننا في فلسطين.

اللهم ارزقنا القوة حتى يحرر بيت المقدس يا رب العالمين. اللهم استجب دعاءنا في يوم نبيك الكريم. اللهم زلزل أقدام أعدائنا. اللهم انصر إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها.

اللهم حرر لنا بيتك المقدس حتى نسجد فيه لله رب العالمين. كما نسألك يا الله أن تجعل حكامنا من الساجدين المصلين الذين يخافون عذابك ويرجون رحمتك. اللهم ارزقهم بطانة الخير التي تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وجنبهم بطانة السوء التي تأمرهم بالمنكر وتنهاهم عن المعروف.

عباد الله... ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]..

واذكروا الله.

(وأقم الصلاة)

۞۞۞

(١) النحل: ٩٠.

الخطبة التاسعة

أخلاق الصلاة

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد..

الكون كله يسبح والكون كله يصلي وكل كائن من الكائنات التزم بتسبيحه وصلاته. وكما تصلي النملة يصلي العرش وكما يصلي الجبل يصلي البحر كلٌ يصلي؛ لأنه يعلم من يصلي له. وكل يطيع فلا مخالفة؛ لأن الذي يصلي لا يخالف.

فالرياح تؤمر أن تكون مبشرات. وأن تكون عقوبات ولا تخالف ولا تهمل في أمر الله. كلٌ على طاعة وكلٌ على تسبيح وكلٌ على صلاة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

والإنسان من هذا الكون فاختاره الله سبحانه وتعالى على بقية المخلوقات وكرمه بالعقل واجتبى منه. اجتبى من البشرية الروح واجتبى من البشرية

(١) النور: (٤١).

الكليم. واجتبى من البشرية الخليل واجتبى من البشرية الحبيب ﷺ جميعًا.

*** أيها المسلمون ***

الصلاة عطاء كبير وهبة جليلة واصطفاء عظيم، وبدونها لا يستطيع الإنسان أن يتحمل شيئا في هذه الدنيا.

وقد فطن الأنبياء والمرسلون لذلك. فحصنوا أنفسهم بهذه العُدَّة وتمكنوا في الأرض بهذه المنة. فانطلقوا بها؛ لأن المصلي على صلة دائمة بربه يطلب منه العلم ويزداد. ويطلب منه العمل فيفتح عليه، ويطلب منه النصر فينتصر، ويطلب منه العون فيعان إذا طلب منك أمير أو رئيس أو ملك أن تتصل به مرة تغير حالك وتتباهى بذلك وتستعد لمقابلة الأمير أو الملك أو الرئيس أو الحاكم.

فما بالك بأحكم الحاكمين الذي يريدك دومًا. يريدك في الليل والنهار أن تطرق بابه وأن تقف بين يديه عابدًا واصلاً موصولاً فالله لا يطرد أي أحد مهمًا كان. قد فطن الأنبياء لذلك فاهتموا وكانوا على ذكر لا ينقطع من الطلب وإقامة الصلاة.

سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾[1] الصلاة يتمنى إبراهيم أن تورث بدل الحطام. فإذا أكرموا بالصلاة كانوا أغنياء لله وكانوا صالحين: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾[2].

وهذا هو أمل الآباء والأمهات أن يكون أولادهم على صلاة. عندما أمر

(١) إبراهيم:(٤٠).

(٢) الطور:(٢١).

الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة السلام.. أمره أن يذهب إلى مكة، وأن يترك ولده مع أمه السيدة هاجر وكان طفلاً رضيعًا. ولكن الأمل قد سرى مسرى النور إلى استجابة ربه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾[1].

سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو كليم الله جل وعلا. عندما اختاره الله تعالى وكشف الحجب عنه. كان الحديث في أول الأمر حول الصلاة فأمره الله بها: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى۝ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى۝ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[2].

وسيدنا عيسى ﷺ يذكر وحي ربه له في أول الدعوة وأول التوجيه: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[3] سيد الخلق سيدنا ﷺ في ليلة الدنو وليلة القرب يذكر الله سبحانه وتعالى ما اختاره له وما من به عليه من خير مما اختار ربنا من عظيم ما أعطى. لا قصر ولا مال ولا شيء. فصلة العبد بربه هي الغنى كله. وهي العفة كلها وهي النعيم والسعادة وهي الهناء والبركة: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى۝ فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[4].

عندما كان بين يدي ربه. وسجد فكان العطاء وهو ساجد وكشفت الحجب. وفرض الله عليه سبحانه وتعالى خمس صلوات في اليوم والليلة جعلها خمسًا في العمل وخمسين في الأجر.

ثم نزل إلى الدنيا ليعلم صلة العبد بالله، وهذا هو المعراج، معراج الروح

---

(١) إبراهيم:(٣٧).
(٢) طه: (١١- ١٤).
(٣) مريم:(٣١).
(٤) النجم: (٨- ١١).

عندما تنفصل عن دنياها وحطامها الفاني لتقتبس من نور ربها ولتتمتع في حظيرة القدس حتى تخرج نورًا إلى الناس. فالمصلي الذي لا يستفيد من نور ربه هو إنسان مظلم القلب ضيق الصدر قصير الأفق لا يصلح.

*** أيها المسلمون ***

يأمره الله سبحانه وتعالى بقوله في سورة الإسراء بقوله: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1].

فذكر خمس الصلوات في اليوم والليلة، هذه صلوات الأنبياء وبيوت الأنبياء تؤمر بإقامة الصلاة؛ لأن بيوتهم أسوة. بيوتهم أسوة للنساء وأسوة للأبناء والبنات؛ لأن بيت المسلم إذا لم تقم فيه الصلاة، أقيم فيه عرش الشيطان وهو بيت خرب، فيه العسر وفيه الشؤم وفيه الشجار وفيه النزاع وفيه ما يغضب الله سبحانه وتعالى. بيت لا تقام فيه الصلاة، ولا يذكر فيه اسم الله هو بيت خَرب على أهله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

هذا هو بيت رسول الله ﷺ. ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾[3] فبيوتنا ليس فيها الصلاة بالمعنى الذي يريده الله فنساء كثيرات لا يصلين ولا يقمن الصلاة. فالمسلم إذا دخل بيته لا يسأل هل صلت امرأته أم لم تصل. أو هل صلى أولاده أم لم يصلوا. إنما يسأل عن طعام وشراب ومتاع يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[4]

(١) الإسراء: (٧٨).
(٢) الأحزاب: (٣٣).
(٣) طه: (١٣٢).
(٤) طه: (١٣٢).

*** أيها المسلمون ***

الصلوات لها كرامات على أصحابها. وفضائل ومحامد، فالمصلي على تقوى، ومصل لا يتقى الله فصلاته ليست نافعة ولا شافعة. الصلاة هي التقوى، أن تتقي الله سبحانه وتعالى في كل ما أمرك به ونهاك عنه. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1].

ويقول جل وعلا: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [2].

ويقول عز من قائل: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾[3].

الصلاة هي الإخلاص كله في القول والفعل والعمل والعلم في كل الحياة.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[4].

وأنت تصلي. فهل أنت مخلص في صنعتك. هل أنت مخلص مع أهلك؟ أم أنك منافق، لا يمكن أن تكون الصلاة والنفاق في صدر واحد، إما صلاة خالصة وإما نفاق، والناس تصلي وتنافق والناس تصلي وترابي، والناس تصلي وتتقرب إلى أهل الدنيا طمعا في سلطانهم أو جاههم أو متاعهم الفاني. الصلاة تعلم الإنسان العصمة لله. والاعتماد على الله فالمصلي الذي لا يعتصم بدينه أو لا يعتصم بالله فصلاته لم تنفعه طرفة عين.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ

(١) البقرة: (٢، ٣)

(٢) الأنعام: (٧٢).

(٣) الروم: (٣١).

(٤) البينة: (٥).

مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

والمسلمون اليوم لم يذقوا هذا المعنى كما ذاقه سلفنا الصالح في كل حياتهم حتى مع أعدائهم لا اعتصام لهم إلا بالله مع قلة عددهم وعدتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

فاعتصموا بالله فأيدهم الله، وثبتهم الله ونصرهم الله على كل الدنيا.

*** أيها المسلمون ***

الصلاة هي الاستعانة بالله فأنت تصلي فاستعن بالله، ولا تذهب إلى دجال تستعين به في كشف ورق كوتشينة أو فنجان أو رمل.

ولا تستعن بصحيفة فيها الأبراج التي كتبها الصحفيون بلا علم، ولا علم في ذلك إلا باطل.

*** أيها المسلمون ***

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[4].

فاستعن بالله:

«**إذا سالت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» [رواه الترمذي]. وأنت ساجد ليس بينك وبين ربك حجاب. أما الركوع فعظموا فيه ربكم وأما السجود

---

(١) الحج: (٧٨).
(٢) الأنفال: (٤٥).
(٣) البقرة: (١٥٣).
(٤) البقرة: (٤٥).

فادعوا الله فيه بما شئتم. وأقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد. وإن الله يستحي سبحانه وتعالى ألا يجيبك قبل أن ترفع رأسك من السجود. فأنت بين يدي عظيم بيده الملك وإليه المصير.

فهذه هي الاستعانة بالصلاة. المصلي يصبر على أداء عمله. ويصبر على إتقان صنعته. يصبر على كل الحياة. يصبر على الطاعة في الأمر والنهي.

أما الإنسان الجزع الذي لا تفيده صلاته فأعماله خاسرة؛ لأنه لم يتضرع بالصلاة التي تقوي عزمه وتقوي إرادته وتجعله من الصابرين في كل أحوال الدنيا وفي بلائها.

يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾** (1)

فالذي يقيم الصلاة لا يجزع ولا يفشل ولا يخسر عمله. المسلمون يصلون وأعمالهم غير متقنة وصناعاتهم بائرة ونفرح ونسعد بصناعات الأجانب. المسلم أولى في أن يتقن أي شيء يعمله حتى ينال محبة الله سبحانه وتعالى: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**».

وبعد..

جاء الحق سبحانه وتعالى بكلمة «قد» وقد تفيد التحقيق بعد هذا العرض الذي أشرنا إليه في هذا الكلام. فالمسلم الصابر الذي يستعين بالله والذي يتقي الله والذي يطيع الله هذا مصل حقيقة **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾**(2)، فالخشوع هنا هو الخشوع لطاعة الله تبارك وتعالى. فكما خشعت في صلاتك وأديت صلاتك خاشعًا فاخرج منها خاشعًا. أما إذا صليت خاشعا

---

(1) الحج: (35).
(2) المؤمنون :(1، 2).

وخرجت منها مستهترًا تأكل الحرام وتؤذي الناس ولا تؤدي عملك فأين هي الصلاة؟وما هي الصلاة؟ إننا نضحك على أنفسنا بشكليات لا أصل لها ولا وجود لها في الإسلام.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]

*** أيها المسلمون ***

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۞ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[2] أيها المسلمون كل منا له حاجة والحاجة ليست معجزة أو لا تعجز ألله تعالى. ماذا تريد؟ اطلب ما شئت وعند المحراب يستجاب لك، إن كنت خالصًا تقيًّا مستعينًا بالله مطيعًا له صابرًا على طاعته.

يستجاب لك. فأنت بين يدي الله. واذكر ما فعل الله تعالى بالسيدة مريم عليه السلام وبسيدنا زكريا عليه السلام.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3] هناك (أي في هذا المكان) دعا زكريا ربه. فسيدنا زكريا عليه السلام لم ينجب حتى كبر سنه وطلب من الله الولد: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا۞ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[4] في هذا المكان تغيرت نواميس الطبيعة وحملت زوجته، وجاءت بسيدنا يحيى فأي أمر لا يستعصي على الحق تبارك وتعالى مهما كبر ومهما عظم: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ

(١) التوبة: (٧١).
(٢) الأعلى: (١٤- ١٧).
(٣) آل عمران: (٣٧).
(٤) مريم: (٥، ٦، ٧).

قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

*** أيها المسلمون ***

إن الأمة انفصلت عن حقيقة الصلاة فصارت الصلاة حركات دون تأثير على المجتمع ودون تأثير على النفس.

أيها المصلي...

هل تصلي وأنت صادق؟ أم وأنك كاذب؟ كاذب في تجارتك، وكاذب على أولادك، وكاذب مع الناس، هل أنت تصلي وتتعاطى المخدرات؟

تصلي وتشرب الدخان، تصلي، وتنافق، تصلي وترتشي. تصلي وترابي وتأكل الربا؟

تصلي وأنت ظالم في الميراث وأخذت حق إخوانك وأخواتك؟

تصلي وتفعل المنكر والفاحشة. أين الصلاة؟!!

الصلاة تطهير النفس. وتطهير للمجتمع، أما الذين يصلون بالآلاف، والمنكر قائم بينهم، فلا صلاة. يصلون والفاحشة معلنة فلا صلاة: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2].

*** أيها المسلمون ***

الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما عدا الكبائر.

---

(١) آل عمران: (٣٨، ٣٩).

(٢) العنكبوت: (٤٥).

إن الصلاة عطاء كبير. وإقامة الصلاة هي إقامة الدين في نفسك وإقامة الحق في نفسك وإقامة الصلاة بأركانها وشروطها وسننها ومستحباتها.

*** أيها المسلمون ***

إن الصلاة نحتاج فيها ألا نكون منفصلين عنها: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾[1] عباد الله أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولنتب إلى الله جميعًا. أو كما قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

۞۞۞

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد..

فأمرنا الله بالمحافظة على الصلاة كما نعلم. والمحافظة على الصلاة لها خيرها وفضلها.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[2]

وقد روى عن أسعد الخلق ﷺ أنه كان جالسًا ومعه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فنظر إلى القمر فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون** به (أي لا تتعبون في رؤيته)» [رواه البخاري]..

من استطاع أن يحافظ على صلاتين فليفعل وهي الصبح وصلاة قبل الغروب أي صلاة العصر.

---

(١) إبراهيم: (٤٠).

(٢) البقرة : (٢٣٨).

- فالمحافظة على صلاة الصبح وصلاة العصر نتيجتها رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.
- وقد ورد أن صلاة الظهر فيها قضاء الحاجة.
- وقد ورد أن من صلى المغرب في جماعة فكأنما قام نصف الليل.
- ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله.
- والجماعة رفع الله درجتها سبعًا وعشرين درجة.
- فصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.
- وصلاة الجماعة تعلمنا التواضع وتعلمنا الحب والصفاء بالتراص الذي يقف فيه الكل سواسية أمام الله بخلاف هذا الوقت الذي ينفصل فيه الحكام عن الناس، وهنا لا يشعرون بتواضع الصلاة ولا بتواضع هذه العبادة العظيمة.

فلا فرق بين أبيض وأسود ولا بين حاكم ومحكوم ولا بين صحيح ومريض ولا بين طويل وقصير الكل أمام الله سبحانه وتعالى سواء.

وفي النهاية كلنا ذنوب، وكلنا أخطاء والصلاة تكفر الدنايا والخطايا التي يفعلها المسلم بين وقت وآخر.

يقول أسعد الخلق ﷺ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ»** قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ: **«فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»** [رواه البخاري].

وقيل: يا رسول الله، هناك رجل يفعل كذا وكذا. فقال: **«أتركوه فإن صلاته ستنهاه يومًا»**.

ثم قيل له: يا رسول الله إن فلانًا ترك ما كان يفعل.

فقال ﷺ: «**أما قلت لكم إن صلاته ستنهاه يومًا؟**»

وبعد..

وأنت تصلي الظهر، وعندما تصلي العصر تتذكر ما صنعت بين الظهر والعصر حتى تتوب إلى الله تبارك وتعالى. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد فعل ذنبًا واضطرب من أجل هذا الذنب.

فقال ﷺ: «**انتظر حتى تصلي معنا صلاة العصر**».

فلما تمت الصلاة قال: «أين الرجل؟» قال: ها أنا يا رسول الله. قال ﷺ: «أبشرك فإن الله قد غفر لك ذنبك بصلاتك العصر».

﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ۝ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

*** أيها المسلمون ***

إن الأمة في شحناء؛ لأنها لم تتأثر بالصلاة. الأمة في خصومة وانفصال؛ لأنها لم تتأثر بالصلاة.

الأمة في فساد كبير؛ لأنها لم تتأثر بالصلاة. الأمة في هزائم مستمرة؛ لأنها لم تتأثر بالصلاة.

الأمة في ضعف يخزي؛ لأنها لم تتأثر بالصلاة. والصلاة هي نور الحياة فإذا غرب هذا النور فظلمة الشيطان وظلمة الدنيا والظلمة التي نعيش فيها وتطرب حياتنا في كل لحظة من اللحظات.

*** أيها المسلمون ***

الصلاة انشراح. إذا صليت انشرح صدرك من الضوائق التي أنت فيها وما

(١) هود: (١١٤- ١١٥).

أصابنا من البلاء فهو من عدم الصلاة. وقال أحد الصالحين، والله إني أعرف ذنبي من سوء خلق دابتي. فالدابة إذا عثرت بصاحبها تذكر صاحبها ذنبه أو تَرْك صلاته فيما بيه وبين ربه. هذه الصلة من الله إليكم فلا تقطعوا هذه الصلة مع ربكم.

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وقنا عذاب النار. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه برحمتك يا أرحم الراحمين).

- اللهم وفقنا إلى طاعتك يا كريم واجعلنا من عبادك الصالحين.
- اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا ولأموات المسلمين.
- اللهم اجعلنا على جادة الحق يا رب العالمين.
- اللهم انصرنا بك يا رب العالمين. اللهم انصر إخواننا في البوسنة والهرسك وانصر إخواننا في الشيشان وفي كل مكان يا رب العالمين.
- اللهم أيدهم بتأييدك وانصرهم بنصرك وقوهم على أعدائهم يا رب العالمين.
- اللهم أشعر المسلمين بمصائبهم حتى يفيقوا من ذلاتهم ومن تعاستهم يا أرحم الراحمين.

عباد الله، **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[1]. **اذكروا الله.**

(وأقم الصلاة)

---

(١) النحل:٩٠.

الفهرس